مطبوعات المجمع العلمي العراقي

من اعلام مدرسة بغداد في التصوف :

رسائل الخراز

لابي سعيد الخراز

؟ : ٢٨٦ هـ

الدكتور قاسم السامرائي

مستل من المجلد الخامس عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي

مطبعة المجمع العلمي العراقي

بغداد ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م

حياته :

ابو سعيد ، احمد بن عيسى الخراز ، صوفي من اركان المدرسة البغدادية في التصوف التي ترأسها الجنيد والنوري والشبلي . قال عنه الخطيب البغدادي . كان أحد المذكورين بالورع والمراقبة وحسن الرعاية والمجاهدة [1] . وقال عنه أبو نعيم الاصفهاني : سيد من تكلم في علم الفناء والبقاء [2] أما أبو عبد الرحمن السلمي فيرى انه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء [3] وانه ، احسن القوم كلاماً ما خلا الجنيد [4] . وهو عند الكلاباذي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ « لسان التصوف » [5] وقد عده فيمن نشر علوم الاشارة كتباً ورسائل . أما عبد الرحمن الجامي فيرى أنه « ماكان أحد فوق الخراز ، هو في غاية

---

(١) تاريخ بغداد ٤ / ٢٧٦ (٢) حلية الاولياء ١٠ / ٢٤٦

(٣) طبقات الصوفية ٢٢٨ (٤) شذرات الذهب ٢/١٩٢ (٥) التعرف ١١

الغايات ... [1] » .

لابي سعيد الخراز وجهة نظر في الشريعة تتفق على ظاهرها مع وجهات نظر المدارس الفقهية الاسلامية ولا تخلو من تعارض مع التستري والترمذي [2] وفي مسائل معينة تقرب كل القرب من الغنوصية الشيعية المتمثلة في الحروفيين [3] مات في القاهرة سنة ٢٨٦ هـ وفي موته أقوال تجدها عند الخطيب البغدادي[4] . بعد أن هاجر اليها من بغداد هرباً من غلام الخليل [5] الذي اتهم صوفية بغداد بالزندقة ،ولولا حكمة القاضي اسماعيل بن اسحاق لذاق صوفية بغداد ما ذاق الحلاج من بعد .ويبدو أن العيش في القاهرة قد راق للخراز لما وجده من أمن ومريدين فاستقر هناك ومعه استقرت تعاليمه في مدرسة أبي الحسين بن بنان الذي يقول فيه السلمي « صحب ابا سعيد الخراز واليه ينتمي » و « كان ابو الحسين يتواجد وأبو سعيد الخراز يصفق له » [6] . ويبدو ان هذه المحنة قد شتتت شمل صوفية بغداد ، فأبو سعيد الخراز رحل الى مصر ايام هذه المحنة [7] وأبو الحسين النوري اقام بالرقة سنين متخلياً عن الايناس [8] وابو حمزة البغدادي الصوفي وأبو بكر الدقاق أخـذا يسيحان في الأرض ولم ينجُ من التشريد الا الجنيد لانه « استتر بالفقه على مذهب أبي ثور » [9] والغريب أن مثير هذه المحنة هو غلام الخليل « وهو من اعلام صوفية بغداد » [10] اتهمهم فيها ، على ما روى ابن الجوزي ، بالزندقة لإن أبا الحسين النوري قال « أنا اعشق الله والله يعشقني » [11] او على ما روى أبو عبد الرحمن السلمي « لأنهم يرفضون الشريعة » [12] ولعل ابن الجوزي

(١) نفحات الانس : ورقة ٤٤ أ
(٢) لمعرفة نقاط التعارض انظر : ماسنيون Essai 302 f ; Passion 513
(٣) قارن اللمع ٨٩ (٤) تاريخ بغداد ٤ / ٢٧٨
(٥) تعرف هذه المحاكم بمحن الصوفية ، حلية ١٠ / ٢٤٩ ، احياء ٢ / ١٥٢ ، عوارف المعارف ١٧٩، سراج الملوك ١٥٥، تلبيس ابليس ١٧٢
(٦) طبقات الصوفية ٢٨٩ (٧) نفحات الانس ورقة ٤٤ أ (٨) حلية الاولياء ١٠ / ٢٤٩
(٩) تلبيس ابليس ١٧٢ (١٠) الفهرست ١٨٦
(١١) تلبيس ابليس ١٧٢ (١٢) آداب الصحبة وحسن العشرة ٤٧

الحنبلي وهو من أشد اعداء المتصوفة حماسة قد حرف قول النوري تهكما منه . فان المروى عن النورى ، أنه قال « انا احب الله والله يحبني » مقتبساً قوله تعالى « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » ويظهر أن غلام الخليل كان من المقربين للسلطة فان كثيراً من الروايات تصوره صاحب شرطة يطارد الصوفية ويتسقط زلاتهم بل ويتسبب في موتهم هلعاً [1] وحكايته مع سمنون المحب أعجب من تصوفه [2] .

حاول الخراز كغيره من صوفية بغداد التقريب بين التصوف الذي فقد سحره وطابعه الزهدي عند الناس وبين المذاهب الفقهية ، أو بالمصطلح الصوفي ، بين الشريعة والحقيقة ، فاصرّ على أن ليس للشريعة وجهان : ظاهر وباطن وان «كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل » [3] اما صـديقه الجنيد فيقول « الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى اثر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ واتبـع سنته ولزم طريقته» .[4] اما النوري فيوصي بعض اصحابه « من رأيته يدعي مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربن منه » [5] وأبو محمد الجريري ، تلميذ الجنيد ، فيقول « رؤية الاصول باستعمال الفروع وتصحيـح الفروع بمعارضة الاصول ولا سبيل الى مقام مشاهـدة الاصول الا بتعظيم ما عظمه الله من الوسائط والفروع » [6] . بالرغم من هذا الاصرار على ان الحقيقة هي الشريعة اتجه صوفية بغداد بعد محاولات غلام الخليل ومقتل الحلاج الى نشر تعاليمهم بين خاصتهم بطرق سرية فاتخذوا « عبارات تفردوا بها واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم » [7] وحرصوا كل الحرص على هذه السرية فالجنيد لا يقبل اكثر من عشرين مريداً

(١) قال غلام الخليل : رأيت فقيراً يعدو ويلتفت ويقول : أشهدكم على الله هو ذا يقتلني . . وسقط ميتاً . تلبيس ابليس ٣٦٣ . وقد وهم ابن الجوزي فظن قوله « أشهدكم على الله » بتخفيف الياء في علي ويظهر أن الفقير هرب من غلام الخليل وسقط ميتا بالسكتة خوفا وهلعاً
(٢) انظر كشف المحجوب الترجمة الانكليزية ١٣٧
(٣) طبقات الصوفية ٢٢١ ، مناقب الابرار ورقة ١٥ أ .
(٤) طبقات الصوفية ١٥٩ (٥) حلية الاولياء ١٠ / ٢٥٢
(٦) طبقات الصوفية ٢٦٣ انظر كذلك تلبيس ابليس ١٦٧ (٧) التعرف ٨٠

في بيته حيث يقفل الباب ويضع المفتاح تحت وسادته [١] والخراز يؤلف كتاب الصدق للصوفية فقط وهو يحذرهم من ان يقع هذا الكتاب بيد من لا يفهم مقصوده [٢]، ويخشى الجنيد أن يفصح في رسالة لصديق له لان رسالة له فتحت في اصبهان فأسيء فهمها [٣] والنوري يخاطب الجنيد وقد رآه متصدراً احد المجالس « يا ابا القاسم ، لقد كتمت الحقيقة عن الناس فصدروك وأنا اخبرتهم بها فحصبوني » [٤] ولعل مصدر هذه السرية في التعاليم يعود ـ على رأي السراج ـ الى كثرة المتشبهين بالصوفية وليسوا منهم فاتجهوا الى الانعزال غيرة منهم على التصوف [٥] ، او لأنهم اشفقوا ان يفهم كلامهم على غير مدلوله . وهنا يؤكد الجنيد في رسالة لصديق له على مخاطبة الناس بما يعقلون فيقول « وبالخلق حاجة الى الرفق وليس من الرفق بالخلق ملاقاتهم بما لا يعرفون ولا مخاطبتهم بما لا يفهمون » [٦] وفي مناسبة اخرى مع ابي بكر الشبلي كتب له « الله . . . الله في الخلق ! كنا نأخذ الكلمة فنشقها ونقرضها ونتكلم بها في السراديب وقد جئت انت فخلعت العذار [٧] » . لهذه ولغيره بالغ كتاب المتصوفة كالكلاباذي والسراج والمكي والسلمي والقشيري في محاولاتهم لبيان أن التصوف لا يعني فقط شدة العناية بالدين على ظواهره ورخصة بل مراعاة أحكام الشريعة بشدة دونها شدة التعصب ايضاً إذ إن التصوف هو الأخذ بالأحسن والاتم احتياطاً للدين وتعظيما لما امر الله به عباده واجتناباً لما نهاهم الله عنه وليس من مذهبهم النزول على الرخص وطلب التأويلات . ومع كل هذا الاصرار وهذا التحفظ فأركان مدرسة بغداد لم يسلموا من تهمة الزندقة والحلول . يروي ابن الجوزي نقلا من كتاب اللمع للسراج قوله : « وأنكر

(١) قوت القلوب ٢ / ٣٠ ، احياء ١ / ٤٢
(٢) انظر مقدمة ناشر الكتاب البرفسور آربري (٣) اللمع ٢٤٠
(٤) كشف المحجوب الترجمة الانكليزية ١٣١ : انظر قوله الآخر للجنيد : يا ابا القاسم غششتهم فاجلسوك على المنابر ونصحتهم فاجلسوني على المزابل التعرف ١١٢
(٥) اللمع ٣ « ... كثر المتشبهون باهل التصوف والمشيرون الى الطريقة والمجيبون عنها وعن مسائلها وكل واحد يضيف الى نفسه كتاباً قد زخرفه وكلاماً قد تكلفه وجواباً قد الفه . . » .
(٦) اللمع ٢٤٠ (٧) اللمع ٢٣٤

جماعة من العلماء على أبي سعيد الخراز ونسبوه الى الكفر بألفاظ وجدوها في كتاب صنفه وهو كتاب السر ... وأبو العباس احمد بن عطاء نسب الى الكفر والزندقة وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك اكثرهم [١] .

لا يخلو كتاب في التصوف من قول للخراز أو رواية رويت عنه ، ومع أن كثيراً من المصادر قد ترجمت له فنحن لا نجد شيئاً عن حياته الأولى ولا عن حياته باية صورة وبالرغم من كثرة هذه النقول والروايات فالظلام يكتنف شخصية الخراز . بيد أن هذه الشذرات المبعثرة إن لم تفدنا في استجلاء الغامض من حياته فانها تلقي ضوءاً على علاقاته بصوفية عصره في شتى اقطار العالم الاسلامي إذ ذاك .

تحدثنا المصادر ان ابا سعيد الخراز كان دائم التجوال كثير السياحة فيذكر أبو عبد الرحمن السلمي أنه « كان يسافر مع أبي تراب النخشبي وابي حمزة الخراساني [٢] . وابو نصر السراج يروي لنا أن الخراز قال « ذكر لي أبو حاتم العطار وفضله وكان بالبصرة فرحلت اليه من مصر » [٣] . وابن خميس الكعبي يروى « قال أبو القاسم بن مروان النهاوندي قال : كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبي سعيد الخراز نمشي على ساحل البحر نحو صيدا » [٤] والقشيري ينقل عن السلمي « أن يوسف بن الحسين الرازي رافق الخراز » [٥] وروايات اخر تصوره مرة في الرملة ومرة في القدس ومرات في البادية ومرات سائحاً بين مكة والعراق كل هذه الروايات تقودنا إلى حقيقة مدرسة بغداد في التصوف ، فمن اعضائها من كان دائم السياحة كثير التجوال كابي حمزة والنوري وابن عطاء والخراز ومنهم من آثر الاقامة على السفر كالمحاسبي والجنيد والسري السقطي ومنهم من سافر في ابتداء امورهم في حال ابتداء شبابهم ... ثم قعدوا عن السفر في آخر احوالهم كالشبلي » [٦] .

الشيء الوحيد الذي يتصل بحياته في بغداد هو النسبة التي يحملها ، هذه النسبة الى خرز

(١) تلبيس ابليس ١٦٩ (٢) طبقات الصوفية ٢٢٧ (٣) اللمع ١٨٠
(٤) مناقب الابرار (ورقة ١٦ ب) . (٥) الرسالة القشيرية ٢٤
(٦) الرسالة القشيرية ١٣٠

الجلود كالقرب والسطائح وغيرها » [١] كما يقول ابن الاثير فيكون قد تعلمها ليكسب قوت يومه أو ليشغل نفسه التي شغلته كما يقول الخراز نفسه فهو قد تعلم خرز الجلود وخرز الأخفاف . يروي أبو نصر السراج انه « خرج في سنة من السنين من الشام الى مكة مع القافلة فجلس الى الصباح يخرز نعال اصحابه من الفقراء والصوفية » [٢] وذكر ابن تغري بردي ان الجنيد قال : « لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا . فقيل له : وايش كان حاله ؟ قال : اقام كذا وكذا سنة يخرز ، ما فاته ذكر الحق بين الخرزتين » [٣] . فابو سعيد كان خرازاً : أي حذاءاً او اسكافاً لا كما فهم الدكتور على حسن عبد القادر [٤] فقال: إنه كان نساجاً اذ يروي عبدالرحمن الجامي انه «كان يخرز الخف ويفكه ، فقيل له ، ماهذا ؟ قال : اشغل نفسي قبل ان تشغلني » [٥]. اما الجوانب الاخرى من حياته فهي مجهولة ولم استطع أن اعثر فيما تيسر لي من المصادر على ذكر لمولده ، لعائلته أو لدراسته وقد اكتفى السلمي بقوله « وهو من أهل بغداد » [٦] ، أو « بغدادي الأصل » [٧] ، وكل ما ذكر عن دراسته « انه كان تلميذاً لمحمد بن منصور الطوسي » [٨] و « حدث عن ابراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن ادهم » [٩] و « صحب ذا النون المصري وابا عبيد البسري والسري السقطي وبشراً الحافي [١٠] و وزاد السلمي « وابا عبيد الله النباجي [١١] . ومن تلاميذه أبو القاسم

(١) اللباب في تهذيب الانساب ١ / ٣٥٢ انظر كذلك تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٣٣٠ .
(٢) اللمع ١٩٦
(٣) النجوم الزاهرة ٣ / ٧٦ .
(٤) انظر كتابه عن الجنيد باللغة الانكليزية ص ٤١ وفي الكتاب اخطاء وهنات في مواضع متعددة منه .
(٥) نفحات الانس ورقة ٤٤ أ.
(٦) طبقات الصوفية ٢٢٨ .
(٧) شذرات الذهب نقلا من تاريخ الصوفية الضائع ٢ / ١٩٢ .
(٨) نفحات الانس ورقة ٤٤ أ . انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣ / ٢٤٧ .
(٩) المنتظم ٥ / ١٠٥ انظر ترجمة ابراهيم بن بشار في تاريخ بغداد ٦ / ٤٧ وروايات الخراز عنه وعن غيره في طبقات السلمي ٢٨ ، ٣٥ .
(١٠) نفحات الانس ورقة ٤٤ أ .
(١١) طبقات الصوفية ٢٢٨ .

ابن مروان وقد صحبه اربع عشرة سنة [١] ، وعلي بن محمد المصري [٢] وقد روى عنه . وقد انفرد الخطيب البغدادي برواية ، ان من جملة تلامذة الخراز تلميذة كانت تسمع منه من وراء ستر لم يشأ أن يذكر لنا اسمها [٣] . وتضيف بعض المصادر أن ابراهيم بن سعد العلوي صحب الخراز في سياحاته [٤] ، وانحدر لنا في بعض الروايات انه كان متزوجاً وله ابن صوفي مات قبله أسدى لوالده النصح في منام [٥] فالخراز لم يوافق آراء بعض صوفية بغداد في الامتناع عن الزواج .

الفناء والبقاء عند الخراز :

يكاد يجمع كل من ترجم لأبي سعيد الخراز على رواية واحدة وهي « انه اول من تكلم في علم الفناء والبقاء » أو « سيد من تكلم في علم الفناء والبقاء » فما معنى الفناء والبقاء ؟ يحدثنا أبو بكر الكلاباذي المتوفي سنة ٣٨٠ ه ان الفناء هو « ان تفنى الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حظ ويسقط عنه التمييز ، وهو فناء عن الاشياء كلها شغلا بما فني به ... والحق يتولى تصريفه فيصرفه في ظائفه وموافقاته فيكون محفوظا فيما لله عليه مأخوذاً عما له وعن جميع المخالفات فلا يكون له اليها سبيل وهو العصمة ... والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عما له ويبقى بما لله » [٦] ولو تقصينا الشذرات المبعثرة لأقوال الخراز في كتب الصوفية لوجدنا أنهم التزموا الحذر والحيطة في اختيار ما لا يساء فهمه خذ مثلا

(١) تاريخ بغداد ٤ / ٢٧٨ سماه ابن وردان وفي مكان آخر سماه ابن مروان ٤ / ٤٠٠ والقشيرى والسراج يسميانه ابن مروان النهاوندى ، الرسالة ١٢٧ ، اللمع ٢٨٨ وابن خميس الكعبي يسميه : ابن مردان ورقة ٢١٧ ب انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ / ٤٠٠
(٢) المنتظم ٥ / ١٠٥ انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ / ٧٥ .
(٣) تاريخ بغداد ٤ / ٢٧٧
(٤) كشف المحجوب فالترجمة الانكليزية ٣٦٤ ، تاريخ بغداد ٦ / ٨٦ .
(٥) طبقات الشعراني ١٠٢/١ وذكر ابن الأثير ولده سعيد في انه سأل والده ان يعطيه دانقاً فقال : لو أحب أبوك أن يركب الملوك الى بابه لما تابوا عليه (البداية والنهاية ٥٨/١١) .
(٦) التعرف ٩٢

السراج الطوسي فانه أورد كثيراً من اقوال الخراز منها قوله فى الفناء : « أول علامة التوحيد خروج العبد عن كل شيء ورد جميع الأشياء الى متوليها حتى يكون المتولي بالمتولي ناظراً الى الاشياء قائماً بها متمكناً فيها ثم يخفيهم في انفسهم من أنفسهم ويميت أنفسهم في أنفسهم ويصطنعهم لنفسه فهذا اول دخول في التوحيد من حيث ظهور الديمومية » [1] ويحاول السراج بما أوتي من قدرة منطقيه فقهية ان يقنع القارىء أن مراد الخراز يختلف عما تعنيه الفاظه فيستعمل الشرح الطويل فينفي تهمة الالحاد عنه ، والكلاباذي يورد قوله في الجمع : « الجمع أنه أوجدهم نفسه في نفسه بل أعدمهم وجوده لانفسهم عند وجودهم له [2] وقولا الخراز يبينان بصراحة رأى الخراز في الفناء والبقاء الذي سنأتي اليه بعد قليل .

الصوفي يعتقد أنه اختير ليكون صوفياً والا لأصبح الناس كلهم صوفية وان الحق اختاره من خلقه لتحمل الاعباء والمجاهدات وقد لا يسبق هذا الاختيار مقدمات اذ ليس كل عابد موغل في العبادة مؤهلا للاختيار فقد يصبح المغني صوفياً والنصراني من الأبدال وقد يتسلق ابن العامة خطوات الطريق ليصل الى مرتبة الاوتاد دون ان يكلف نفسه عناء الطريق . . اذ تلك مشيئة الاختيار ، ومع اعترافهم بهذا فقد اصطلحوا على خطوات اختلفوا فيعددها واسمائها سموها (المقامات) وعلى حالات شعورية الهامية سموها (الأحوال) ، فاذا ما اصطنع الحق انساناً لنفسه حرك الشوق الية في قلبه فيمتليء بالحب ، وهنا أول الطريق ، ولان « المحبة ميل القلوب » [3] فانها توجب الشوق والشوق يوجب الانس ومن فقد الشوق والانس فهو غير محب [4] ، ويحلو للخراز أن يصطنع للحب كاساً يذوق نعيم المشاهدة فيقول « طوبى لمن شرب كأساً من محبته وذاق نعيما من مناجاة الجليل وقربه بما وجد من اللذات بحبه فمليء قلبه حباً وطار بالله طرباً وهام اليه اشتياقا ، فياله من وامق

(١) اللمع ٣٧٠ وانظر تفسير السراج ٣٣ – ٣٤ . (٢) التعرف ٩٠

(٣) التعرف ٧٩

(٤) القول للواسطي صديق الخراز انظره في طبقات الصوفية ٣٠٣

أسف ، بربه كلف دنف ليس له سكن غيره ولا مألوف سواه » [1] فاذا كان الشوق يوجب الانس فانه من وجد الانس ينعم بالمشاهدة « فمن شاهد الله بقلبه خنس عنه مادونه وتلاشى كل شيء وغاب عنه وجود عظمة الله تعالى ولم يبق في القلب الا الله عز وجل » [2] وفي مناسبة اخرى يكرر الخراز قوله السابق فيقول « فاذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لا يبقى في سره ولا في وهمه غير الله تعالى » .

الحسين بن منصور الحلاج قد قتل شر قتلة فى بغداد لأمور ربطها بعض المستشرقين وبعض المؤرخين بالسياسة واسهام الحلاج في الدعوات السرية [3] لانه فاه بقولته المشهورة « أنا الحق » ويبدون أن الخراز قد رأى بعين الغيب مصير الحلاج على الخشبة فاشفق على نفسه فعمَّى اقواله والا فانه قد قال ما قاله الحلاج لا على لسانه بل على لسان صوفي مستغرق مستهلك من غلبة الحقيقة عليه : « ولو قيل له ما انت لم يكن له جواب من غلبة أقدار الله عليه أن يقول أنا » [4] ولكنه يأبى الا التصريح الخافت فيقول : « وبعد كل ما ذكرته لك غير ما أردته ولا اعرفه ولا ادري ما اريد ولا ما اقول ولا ادري من انا ولا من اين انا فهل تعرف ايها المستمع ما اقول ... » [5] وقبل مقتل الحلاج بعشرين سنة يكتب الخراز : « هو عبد قد ضاع اسمه فلا اسم له وجهل فلا علم له وعلم فلا جهل له ثم قال : وا شوقاه الى من يعرف ما اقول ويدخل معي فيما أقول .. » (المخطوط)

وجاء الحلاج فباح بالسر الذي كتمه الخراز ولم يستطع الشبلي الا ان يصرخ بوجه الحلاج وهو على الخشبة « الم انهك عن العالمين » [6] واكتفى على حين يصر صديق الخراز أبو العباس بن عطاء الأدمي على موافقته للحلاج فيأمر الوزير حامد بن العباس بعقاب الصوفي الكبير فينتزع خفه وينهال على شدقيه بالضرب حتى يسيل الدم من منخره ويكون

(١) اللمع ٥٩ ، ٦٤ (٢) اللمع ٦٨

(٣) Nicholson. The Idea of Personality in Sufism, P·41 ترجمها أبو العلا عفيفي في كتاب « في التصوف الاسلامي ١٣١ » انظر البداية والنهاية ١١/١٢١ ، ١٣١ .

(٤ و ٥) ورقة ٦٠ أ من كتاب الصفاء (٦) البداية والنهاية ١١/١٣٢

هذا العقاب سبباً في موته . ويدعو الصوفي الكبير على الوزير بأن تقطع يداه ورجلاه ويقتل شر قتله ويحدث أن تتحقق دعـوة الأدمي (١) . وكأن الخراز اتعـظ بقول الشبلي تلميذ صديقه الجنيد « المحب اذا سكت هلك والعارف اذا لم يسكت هلك » (٢) فسلم من القتل لانه سكت وهلك الحلاج لانه لم يسكت والا فأين الحـــدود بين قول الخراز : « اقتطعه قرب الله من ذكر الله فهو مع الله بلا وجود ، ذكر فلم يجد الفهم مدخلا فيما بين الله وبينه فاستلبه الهجوم على الله عز وجل عن وجود الله فسقط العبد وبقي الله عز وجل ؛ فالحالات منه بائنة وعنه واقفة » ... « ورد من الحقيقة على الحقيقة ثم ورد من الله على الله فلم يكن فيه فضل من الله لله » . (المخطوط : كتاب الصفاء) وبين قول الحلاج السابق فاذا كان فهم الناس لصرخة الحلاج « انا الحق » قد قصر عن ادراك ما اراد الحلاج فلانهم لم ينقمعوا ويذهلوا ولم يتعلقوا بنياط عرى التوحيد ولم يعبروا الى نسيان العـلم الذي تـكنه الصدور وتحويه العقول وتجنه الفهوم (٣) ، فما احرى بهذا الفهم أن يعجز عن ادراك مراد الخراز .

الاستغراق في الفناء هو أشهى ما يتمنى الصوفية لان الصلة بينهم وبين العالم الحسي المادي تُعدم واذا عُدمت الصلة قربوا من الله عز وجل « وصار الفهم عنه غذاءهم ومجالسته ومحادثته أنيسهم ... » فاذا رجعوا الى عوالم المادة والحس ازداد حنينهم وكثر توجعهم لما فقدوه لأن الصوفي أنذاك قد « رأى من لم يره وسمع من كلام الله ما ليس له به عهد فيغلبه ذلك ... » . والصوفي هنا غريق التوحيد لا يدري ما الشريعة ولا الدين ولا يعرف رسماً من رسوم الظاهر فهو ابداً وله مستغرق فاذا دامت هذه الحال عند الصوفي فهي حال البقاء في الله بعد الفناء عن النفس . ومهما حاول كتاب الصوفية لاقناعنا بسرد حكايات عن صوفية عادوا إلى إحساسهم السوي عند الفرائض واذا ما ادوها عادوا (٤) إلى الاستغراق

(١) البداية والنهاية ١١/١٤٤
(٢) كتاب السر في انفاس الصوفية المنسوب للجنيد دار الكتب المصرية برقم ٧٨ ورقة ٧ أ
(٣) المخطوط ـ كتاب الصفاء
(٤) انظر كتاب التعرف ص ٩٦ . الرسالة القشيرية ص ٣٦

فان الخراز يقرر أن « المقرب على الحقيقة كأنه منظور اليه فهو مطاوب معلق لا علم له ولا فهم ولا ارادة ولا حس ولا حركة .. » وهذا اقصى درجات الاستغراق وهو ما يسمى عند الصوفية بالجمع وهذا مقام المعرفة فانه « من لا جمع له فلا معرفة له » (الرسالة القشيرية ص٣٥) ومن الجمع ينقل الصوفي إلى جمع الجمع وهو كما يروى القشيري « الاستهلاك بالكلية وفناء الاحساس بما سوى الله عز وجل عند غلبات الحقيقة » (ص ٣٦) ويقول الخراز في الجمع « إنه أوجدهم نفسه في أنفسهم بل أعدمهم وجودهم لأنفسهم عند وجودهم له » (١) . من هذا نخلص الى أن الجمع عند الصوفية يعني الفناء عند الخراز وجمع الجمع يعني البقاء عند الخراز « فالفناء هو ان تفنى عنه الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حظ ويسقط عنه التمييز .. » والبقاء هو الذي يعقب الفناء وهو « أن يفنى عما له ويبقى بما لله » . ويذكر الكلاباذي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ ان فناء الصوفي لا يمنعه عن فرضه . « ومن ثم تصير الاشياء كلها له شيئاً واحداً فتكون كل حركاته في موافقات الحق دون مخالفاته فيكون فانياً عن المخالفات باقياً بالموافقات » (٢) والكلاباذي لا يجد ضيراً في ايراد قول ابي سعيد الخراز في الفناء « علامة الفاني ذهاب حظه من الدنيا والآخره الا من الله تعالى ، ثم يبدو له باد من قدرة الله تعالى فيريه ذهاب حظه من الله تعالى إجلالا لله ثم يبدو له باد من الله تعالى فيريه ذهاب حظه من رؤية ذهاب حظه ويبقى ما كان من الله لله وينفرد الواحـد الصمد في احديته (وفي نسخة أخرى من التعرف : أبديته) فلا يكون لغير الله مع الله فناء ولا بقاء » (٣) ولكنه ككل كاتب صوفي اعتذاري يحاول تلفيق العـذر لتبرئة الخراز فيفسر قوله تفسيراً فقهياً فاذا ما جاء الى قوله (ويبقى ما كان لله ويتفرد الواحد الصمد في أحديته فلا يكون لغير الله مع الله فناء ولا بقاء) يغفل ذلك وينتقل الى عبارة اخرى في الفناء (٤) لا جهلا بعبارة الخراز ولكنه الحـذر من ألسنة الفقهاء ومتعصبة الحنابلة ، والغريب ان كل محاولات الكلاباذي والسراج وابي طالب المكي والسلمي والقشيري لم تنفع

(١) التعرف للكلاباذي ص ٩٠
(٢) نفس المصدر ص٩٢ ـ ٩٣
(٣) نفس المصدر ص ٩٥
(٤) انظر التعرف ، ص ٩٥ سطر ٨

في دفع تهمة الزندقة والحلول عن الخراز [1] وأضرابه من صوفية بغداد وقد ذكرنا امثلة في صفحة سابقة .

وقد اختلف صوفية بغداد في الفاني أيرد إلى بقاء الاوصاف أم لا يرد ؟ فمن قائل ان الفاني يرد لأن حالة الفناء (الجمع) لا تكون على الدوام لأن دوامها يوجب تعطيل الجوارح عن أداء المفروضات ، ومن هؤلاء القائلين برد الاوصاف أبو العباس بن عطاء الأدمي الذي «كان أبو سعيد الخراز يعظم شأنه » والذي قال فيه « التصوف خلق وليس إنابة ، وما رأيت من أهله الا الجنيد وابن عطاء » [2] فانه يؤلف كتاباً في ذلك سماه عود الصفات وبدئها [3] ولكن أكثر صوفية بغداد كالجنيد والخراز والشبلي لا يرون رد الفاني الى بقاء الاوصاف [4] واكبر سند لقول الكلاباذي ما هو موجود في كتاب الصفاء وكتاب الضياء اللذين نحن بسبيل عرضهما مع كتب اخرى للخراز .

قصة المخطوط :

كان مقرراً لهذا المخطوط أن يرى النور على يد البرفسور آرثر جون آربري ، رئيس قسم الدراسات الشرقية في جامعة كمبرج في انكلترا ولكن شاء القدر ان يصاب الاستاذ الكبير بمرض أبعده عن مواصلة الدرس . فكان أن عرض عليّ تحقيق المخطوط على ان يكتب له مقدمة ضافية عن الخراز ولكنه اقترح علي بعد مدة طويلة أشرفت في خلالها على إنهاء التحقيق وضبط النص أن اقوم بالعمل وحدي فاستخرت الله وارجو ان اكون قد وفقت . فلاستاذي الكريم كل شكري وامتناني على ما قدمه لي أيام كنت ادرس على يديه .

(١) انظر الكلاباذي ص ٩٢ ـ ١٠٠ ، السراج ٣٢٥ ـ ٤٠٧ بالخصوص شرح كلام الشبلي وانظر القسم الضائع من اللمع الذي يروي بعضه ابن الجوزي في تلبيس ابليس عن تهمة الزندقة التي وجهت للخراز ص ١٦٩ وكذلك تذكرة الأولياء . باب ٤٥ ص ٤٠

(٢) السلمي ص ٢٦٥ (٣) الكلاباذي ص ٩٦

(٤) نفس المصدر والصفحة

المخطوط بالأصل محفوظ في مكتبة قسطموني العامة ، بتركيا تحت رقم ٢٧١٣ مجموعة ويقع ضمن مجموعة من رسائل في التصوف للترمذي وابن الوزان والقشيري وغيرهم ويبدأ من ورقة ٥٧ ب وينتهي في ورقة ٨٧ ب . وهو أول مخطوط وصفه الاستاذ أحمد آتش ـ رحمه الله ـ عند وصفه مخطوطات المكتبة [1] . وفي سنة ١٩٥٤ صورته البعثة التي أرسلها المعهد الهندي لتصوير نوادر المخطوطات في تركيا وهو محفوظ تحت رقم Reel 289 حسب الترتيب التالي : ـ

كتاب الصفاء	ورقة	٥٧ ب — ٦٢ أ
كتاب الضياء	»	٦٢ ب — ٦٤ أ
كتاب الكشف والبيان	»	٦٤ ب — ٧٠ ب
كتاب الفراغ	»	٧١ ب — ٧٨ أ
كتاب الحقائق	»	٧٨ ب — ٨٧ ب

وبحكم كون البروفسور آربري أميناً لمكتبة المعهد الهندي أنذاك فقد اطلع عليه ونوى نشره فاستنسخ صورة فوتوغرافية لنفسه تفضل فاهداها إليّ .

تحتوي المخطوطة على جزئين ، الجزء الأول ويحتوي على كتاب الصفاء [2] وكتاب الضياء وكتاب الكشف والبيان وفي منتصف الورقة ٥٧ ب كتب « الجزء الأول من كلام الشيخ ابي سعيد الخراز رحمه الله في علم الاشارات وفيه من الكتب ...» وذكر الكتب الثلاثة . وفي ورقة ٧١ أ كتب « الجزء الثاني من كلام الشيخ ... وفيه من الكتب : كتاب الفراغ ، وكتاب الحقائق ... » والمخطوطة المعروفة حتى الآن مخطوطة وحيدة في تركيا مسطرتها ١٧ مكتوبة بخط تعليق قديم غير منقوط في أكثر المواضيع وقد عملت الرطوبة على طمس غير قليل من كلماتها ، ولم يذكر اسم ناسخها الا أن الناسخ ذكر انه استنسخها

(١) Ahmed Ates, Kastamonü Genel Kitapliginda Gulnnan bazi Mühim Arapca ve Farsca yasmalan, in Oriens, V. Leiden 1952 PP. 28-31

(٢) في الأصل : الصفات

سنة ٦١٥ هـ وقابلها « حسب الطاقة بالأم » (ورقة ٢٠٨ ب من المجموعة) . لذلك فهي قد استنسخت إمّا عن نسخة الخراز نفسه وإمّا عن نسخة من نسخة الخراز . ومع أن الناسخ حاول رسم كثير من كلماتها فقد استدرك على الحاشية كثيراً من هذه الكلمات التي لم تكن على ما يبدو واضحة عند انتهائه من الاستنساخ ، ولعله قد عثر عل النسخة الخرازية فاثبت الاستدراك حين المقابلة ومع هذا الجهد فالمخطوطة لم تخل من هنات أشرت إليها في مكانها .

المخطوطة فريدة في نوعها وطريفة في بابها : فريدة لأنها وحيدة وهذا اكتشاف يضاف إلى المكتبة الصوفية لاستكمال جوانب دراسة المنحنى الشخصي للمدرسة البغدادية في التصوف عموماً وهي إلى ذلك تلقي ضوءاً على مذهب ابي سعيد الخراز في الفناء والبقاء .

وهي طريفة في بابها لأن الخراز يرد في أحد اقسامها (كتاب الكشف والبيان) على من قال بأن مقام الأولياء ارفع من مقام الأنبياء . والمعروف عند دارسي التصوف ان من جملة كتب ابي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي المعاصر للخراز كتاباً اسمه ختم الاولياء وهو الذي نشر في مجلة المشرق تباعاً ونشر مستقلا مؤخرا .

يروي الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ (١) عن أبي عبدالرحمن السلمي « ان الترمذي نفي من ترمذ بسبب كتابين الفهما هما « ختم الولاية وعلل الشريعة » ولأنه كان يذهب الى أن للاولياء خاتما كما كان للانبياء خاتم فقالوا انه فضل الولاية على النبوة واحتج بقول رسول الله ﷺ « يغبطهم النبيون والشهداء » وقال « لو لم يكونوا أفضل لما غبطوهم » . وفي كتاب الكشف والبيان يرد الخراز على الترمذي دون ان يصرح باسمه فيقول « أما بعد : فان قوماً من اهل التصوف غلطوا في التمييز بين مقام الأنبياء فجعلوا مقام الأولياء ارفع من مقام الانبياء وإنما ذلك بسبب حجابهم عن عين الحقيقة ... » ويذكر الذهبي أن الترمذي رحل إلى بلخ فأكرموه لموافقته لهم في المذهب وانه رحل الى نيسابور سنة

(١) تذكرة الحفاظ ٢/١٩٧

خمس وثمانين ومائتين . هـذه الرواية تدلنا على أمرين الأول : ان الخراز كتب كتاب الكشف والبيان قبل سنة ٢٨٥ هـ ولعله كتبه في سنة ٢٨٤ هـ لأنه من المعقول ان يبقى الترمذي بضعة اشهر في بلخ ومن ثم يرحل الى نيسابور .

الثاني : ان الخراز مات بعد سنة ٢٨٥ هـ ، هذه الرواية تؤيد رواية تلميذه أبي القاسم ابن مروان النهاوندي التي رواها الخطيب البغدادي وهي على ذلك أصح الروايات التي رويت في وفاته (١) ولو رجعنا الى كتاب ختم الاولياء لوجدنا ان الترمذي يقول : « ثم انهم يروون من الأخبار عن رسول الله ـ ﷺ ـ ان لله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون والشهداء لقربهم ومكانهم من الله ... قال قائل : أفليس في هذه الأخبار ما يدل على تفضيل من دون الأنبياء على الانبياء ؟ قال معاذ الله أن يكون كذلك ، ليس لأحد أن يفضل على الأنبياء ... الأنبياء لهم نبوتهم ومحلهم . قال : فلم يغبطهم النبيون وليسوا بأفضل منهم ؟ قال : قد تبين ذلك في الخبر لم ذلك : لقربهم ومكانهم من الله » (٢) فالترمذي في كلامه هنا لايحملنا على تصديق التهمة التي رماها بها أهل ترمذ لأنه لايقول ذلك بصراحة . فلو فرضنا أن أهل ترمذ لم يفهموا مُراد الترمذي لأنهم ليسوا صوفية فما بال الخراز وهو صوفي من كبارهم مضافاً إلى ذلك أنه معاصر للترمذي ، أرى أن يد صوفي متستر توغلت في كتاب ختم الأولياء فأضافت اليه ما أضافت وجعلت من التهمة سهاماً ترد الى نحور المتهمين ، لأنه من المستبعد أن يرد الخراز على قول الترمذي هذا الذي لايحمل معنى التفضيل وأن مقارنة سريعة بين كتاب الكشف والبيان وكتاب ختم الأولياء نجد الخطوط واضحة جلية في أن مراد الخراز كان رداً على الترمذي ونقطة أخرى ان الهجوري (٣) نسب للترمذي فرقة من الصوفية سماها الحكيمية . خصها بفصل كامل من كتابة يقول فيها إنهم اتباع أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي وان مأخذ قولها في الولاية منه . وكما خص الترمذي بفرقة

(١) تاريخ بغداد ٤/٢٧٨
(٢) مخطوط ولي الدين برقم ٧٧٠ ورقة ١١٣ ب
(٣) كشف المحجوب انظر من ص ٢١٠ الى ٢٤١ الطبعة الانكليزية ، ترجمة نيكلسون

صوفية فالهجويري تسب للخراز فرقة صوفية أيضاً سماها « الخرازية » قالت بقول الخراز في الفناء والبقاء ، وعقد لذلك فصلاً كاملاً للتوفيق بين مفهوم المصطلحين دون أن يمس مفهوم المصطلحين (١) . من كل ذلك نستطيع أن نستخلص الحقيقة التالية : أن كتاب ختم الأولياء الذي في أيدينا ليس هو الذي كتبه الترمذي وانما قد أدخل فيه ما أدخل لنفي تهمة تفضيله الأولياء على الانبياء والا فاسم الكتاب يكفي في الدلالة على فحواه .

كتب الخراز :

كتب الخراز كتباً كثيرة ضاعت كلها ولم يبق منها إلا كتاب الصدق الذي نشره البرفسور آربري في كلكتا سنة ١٩٣٧ مع مقدمة قصيرة عن الخراز لم يتسن لي الاستفادة منها حين كتابتي هذه المقدمة ، إلا أني أذكر أنه أشار الى دراسة ماسينيون عن الخراز التي سوف اضمنها مقالتي القابلة عن المنحنى الشخصي للخراز وقد أعاد الدكتور عبد الحليم محمود طبع الكتاب باسم « الطريق الى الله أو كتاب الصدق » بتحقيق سقيم ومقدمة عن الخراز أسقم منه .

وكتاب المسائل وهو يحتوي على مجموعة من الأحاديث في التصوف التي رواها باسناده (٢) .

وهذا الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه . وهناك كتب أخرى لم يبق منها إلا الاسم ذكرها مؤرخو التصوف وهي :

١) كتاب رؤية القلوب ذكره الكلاباذي ص ٢١ وذكره السراج ص ٤٢٨ .

٢) كتاب آداب الصلاة ذكره السراج واقتبس الكثير منه ص ١٥٣ .

٣) كتاب الوصايا أو ربما هكذا كان اسمه اقتبس السراج منه جملة وصايا ص ٢٦٤ .

٤) كتاب درجات المريدين : اقتبس منه السلمي في حقائق التفسير ورقة ٢ ب مخطوط كوبرلي برقم ٢٦١ ما يلي :

(١) انظر كشف المحجوب من ص ٢٤١ – ٢٤٦ الطبعة الانكليزية

(٢) ما يزال مخطوطاً في مكتبة شهيد علي بتركيا تحت رقم ١٣٧٤

« ومنهم من جاوز حد نسيان حظوظ نفسه فوقع في نسيان حظه من الله ونسيان حاجته إلى الله فهو يقول : لا أدري ما أريد وما أقوله وما أنا ومن اين أنا ، ضاع اسمي فلا اسم لي وجهلت فلا علم لي وعلمت فلا جهل لي واشوقاه إلى من يعرف ما أقول فيساعدني فيما أقول وإذا قيل لأحدهم ما تريد قال : الله وما علمت قال الله فلو تكلمت جوارحه لقالت الله وأعضاؤه ومفاصله ممتلئة من نور الله المخزون عنده ، ثم يصيرون في القرب الى غاية لايقدر أحدهم أن يقول الله لأنه ورد من الحقيقة على الحقيقة ومن الله على الله ولا حيرة (ورقة ٢ ب) .

٥) كتاب السر ذكره ابن الجوزي نقلاً عن السراج : ولما كان كتاب اللمع الذي نشره المستشرق نيكلسون ناقصاً فانه يتبادر الى الذهن ان السراج قد ذكره في القسم الضائع (١) قال ابن الجوزي : قال السراج وانكر جماعة من العلماء على أبي سعيد ، أحمد ابن عيسى الخراز ونسبوه الى الكفر بألفاظ وجدوها في كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله « عبد طائع ما اذن له فلزم التعظيم لله فقدّس الله نفسه » (٢) بيد أن السراج يذكر قولاً مشابهاً لما أورده ابن الجوزي دون أن يذكر اسم الكتاب او التهمة التي وجهت للخراز فيقول « قال أبو سعيد الخراز رحمه الله عبد رجع الى الله عز وجل فتعلق بالله وركد في قرب الله فقد نسي ما سوى الله تعالى ، فلو قلت له من أنت والى اين ؟ لم يكن له جواب غير ان يقول الله لأنه لايعرف سوى الله تعالى لما قد وجد في قلبه من التعظيم لله عز وجل » (٣) وكثيراً ما يورد السراج قول صوفي في مكان ويعيده في مكان آخر مضيفاً اليه (٤) فلربما ذكره في القسم الضائع .

وذكره فريد الدين العطار في تذكرة الأولياء ولعله نقله من اللمع قال :

« واورا بكفر منسوب كردند به بعضي الفاظ كه در تصانيف اوديدند وآن كتاب كتاب السر نام كرده بود ، معنى آن فهم نكردند يكي اين بودكه كفته بود : ان عبدا رجع

(١) انظر اللمع ص ٤٠٧ حيث ذكر نيكلسون ان ستة فصول سقطت من كتاب اللمع ولم يستطع العثور عليها (٢) تلبيس ابليس ص ١٦٩ (٣) اللمع ٢٦٠

(٤) انظر مثلا الصفحات ٥٩ . ٦٤ ، ٢١١ ، ٣٠٥ في حكايات عن الخراز

الى الله وتعلق بالله وسكن في قرب الله قد نسي نفسه وما سوى الله فلو قلت له من اين انت وايش تريد لم يكن له جواب غير الله [1] .

قلنا إن ابن الجوزي كان شديد الوطأة على الصوفية فربما نقص من النص الذي أورده السراج فان مقارنة بسيطة بين نص السراج وابن الجوزي تظهر أن قول الخراز محرف مبتور من جوانب كثيرة ومع هذا فرواية ابن الجوزي تفيدنا في إثبات أن كتاب السر هو من تأليف أبي سعيد الخراز . ورواية فريد الدين العطار تؤيد رواية ابن الجوزي في أصالة الكتاب ومن ثم تقوى زعمنا في أن السراج ذكر الكتاب في القسم الضائع من كتاب اللمع [2] .

مسألة أخرى لا تقل أهمية عن نسبة الكتاب للخراز وهي أن المخطوط يحمل اسماً هو « الجزء الأول من كلام الشيخ أبي سعيد الخراز في علم الاشارات وفيه من الكتب كتاب الصفاء وكتاب الضياء وكتاب الكشف والبيان .

وفي ورقة ٧١ أ « الجزء الثاني من كلام الشيخ أبي سعيد الخراز في علم الاشارات وفيه من الكتب كتاب الفراغ وكتاب الحقائق « وأبو عبد الرحمن السلمي نقل من كتاب للخراز سماه درجات المريدين والسراج وابن الجوزي والعطار نقلوا من كتاب سموه كتاب السر . ولو قارنا النصوص التي نقلوها من هذين الكتابين مع نص كتاب الصفاء لوجدناها منقولة بالنص من أماكن متعددة من الكتاب أفيكون اسم الكتاب : درجات المريدين أم كتاب السر ؟؟ هذا ما سوف أوضحه في مقالة قابلة إن شاء الله عن المنحى الشخصي لشخصية الخراز بين صوفية المدرسة البغدادية .

---

(١) نشر المستشرق نيكلسون ج ٢ ص ٤٠ وقد ذكر ماسنيون انه بالاضافة الى ذكر العطار له فابن الجوزي قد ذكره في كتابه « الناموس .. » انظر ص ٦٢٦ ... Essai وانظر كذلك كتاب روزبهان بقلي ، شرح شطحيات نشر هنري كوربن ص ١٧٩ .

(٢) بعد كتابة هذا المقال وتقديمه الى المطبعة ذكر لي الاستاذ نور الدين الواعظ ان كتاب اللمع نشر في مصر كاملا وأراني نسخة منه وقد وجدت فيه ما سبق ان افترضته ، فللاخ الواعظ جزيل شكري وامتناني .

رسائل الخراز

تأليف أبي سعيد الخراز المتوفي سنة ٣٨٠ هـ

الجزء الأول :

١) كتاب الصفاء

٢) كتاب الضياء

٣) كتاب الكشف والبيان

الجزء الثاني :

١) كتاب الفراغ

٢) كتاب الحقائق

١ — كتاب الصفاء :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : —

الحمد لله الذي خلق الخلق حين أراد كما أراد فأحسن خلقهم وتمت مشيئته فيهم ، ثم دعاهم الى الفهم عنه ففهمهم حتى تفهموا عنه[١] ما عرفهم ، فأجابوا لما أراد على ما سبق لهم عنده . وله الحجة عليهم في التخلف عن حقائق الاجابة ، فآثر اقوام الدنيا فركنوا اليها فحجب الله قلوبهم عن الآخرة ، فخرجوا من الدنيا مغبونين وعلى ما ركنوا اليها نادمين ، وعقل آخرون أمر الله ونهيه ، فرغبوا في حلال الدنيا ، فأخذوا ما طاب منها واجتنبوا ما نهاهم عنه ، ورغبوا في ثواب الله الذي وعدهم ، فاكتسبوا الحسنات وهربوا من السيئات فهم محجوبون بثوات الله عن الله ؛ لم تسمُ أرواحهم الى محبة الله فخرجوا من الدنيا نادمين وعلى ما ضيعوا من أعمارهم في طلب الدنيا خاسرين . واستجاب اقوام بصدق قلوبهم بما اختارهم الله بفضله ودلهم على[٢] توحيده واسبغ[٣] عليهم نعمه فسموا اليه بأرواحهم ، فآثروه وأحبوه واختاروا ما خصهم به ، واختارهم له ، فجالت ارواحهم في الملكوت فأفادهم اليقين والصدق والتوكل والغنى[٤] والزهد وآنسهم بذكره (٥٧ظ) وشوقهم[٥] الى النظر اليه فتنعموا وحنوا فكانوا المحجوبين[٦] بهذه المقامات والمستورين[٧] ، فيها عن حقيقة المعرفة وحقايق التعظيم لله عز وجل حتى خرجوا من الدنيا على ذلك .

فهؤلاء الخاصة من الخلق ، غير ان اكثرهم محجوبون بهذه المقامات عن[٨] الحق لأنهم متشاغلون بالمقامات عن الحق . ثم اختص منهم من شاء[٩] فأطلعهم على عظيم ملكه ليروضهم بذلك رياضة حقيقية[١٠] ليطيقوا الهجوم على عظمته . أما سمعت الله جل وعلا يقول : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين » ، انما أراد ذلك ليطيق الهجوم على قرب الله وعظمته . قلت : صف لي مقام القرب . فقال : قد صح عند العلماء[١١] بالله ان الله جل ثناؤه لاينظر الى شيء على الكشف فيقوم له ، أما ترى الجبل كيف دُكّ وقطع حين تجلى له الجبار وكيف خرّ موسى صعقاً . وأما نظره إلى اوليائه فمن[١٢] وراء حجاب ، ثم يفترقون في نظره اليهم ، فمنهم من ينظر اليه ويذكره

(١) عند (٢) علي . (٣) واشبتع . (٤) والفنا . (٥) مطموسة في الاصل
(٦) مطموسة في الاصل (٧) والمسرور . (٨) من . (٩) شا .
(١٠) مطموسة في الاصل (١١) العلما . (١٢) منى .

ويكرمه بالمواهب ولا يعلم الا انه في حملة العلم ، عارف بالنعمة التى احدثها الله عنده . والوقوف مع النعمة والفايدة ومقامه حجاب عن الله خفي .

واما الاقوياء من العارفين (٥٨و) اذا اقبل [الله][١] عليهم ونظر اليهم علموا وانقطعوا عن موجود الفايدة والتنعم فاقتطعهم التعظيم بما جنوا فأدركهم الوجد . وربما أذن لهم في هذه الاوقات فنشطوا عند حقائق القرب فرجعوا بالعجائب والفهم الثابت والعلم الخالص .

وأما الاقوياء في الدين والمعرفة الذين قربوا من الله عز وجل فصار الفهم منه غذاءهم ومجالسته ومحادثته انيسهم فالباب بينهم وبينه مفتوح ؛ لاينقطع عنهم فوائده في كل طرفة : فمن ذي يدهشون ومن ذي يتحيرون ومن ذي يطربون .

قلت : صف لي اول مقام من مقام اهل القرب . قال : الوجد ! قلت : صف لي علامة الواجدين في القرب في ابتداء[٢] امورهم [قال][٣] : جمع الهمّ بشدة المراقبة وهدوّ الجوارح بالسكون والاقبال على الله مع قلة التقلب بخطرات المشاهدة وقلة الحركات بطوالع ذوق المطالعة والهرب الى العزلة والانفراد والوحدة لما يعدوهم من غذاء[٤] الملاطفة والسكون اليه بعد الاضطراب وكثرة الوسائل في طلب المنافسة والانبساط اليه ولاستيناس بقوله حين وضع عنهم الإصر وثقل الاحمال (٥٨ظ) فعاملوه وعاملهم بالمسامحة . فهذا مقام ناعم من مقامات القرب .

قلت : صف لي مقاماً في القرب احسن من هذا . قال : الدهشة من طوارق الهيبة والبهتة من دوام الاجلال والحنين الخالص والارتياح من صفاء[٥] الاتصال وأكل الطعام الكثير بلا شهوة من شدة الولهان والحكمة البالغة . واكثر الاقوياء من العارفين هم عند حقائق القرب يصيحون ويُدهشون لما يتوحشون انه اليهم ناظر بألوان شتى حتى يُسبل عليهم ستره ويظلهم في كنفه[٦] ويدخلهم في وراء تلك الحجب المنورة بنوره فيجلسهم على مقعد صدق كما يشاء[٧] فيرجعون من هناك بالكرامات السنية لايدرون ما وردوا عليه لانهم مدهوشون في ذلك المقام ، فاذا افاقوا من دهشتهم تحيروا بما وردوا عليه فيما اذن لهم وما يخفون اكثر .

(١) في الحاشية (٢) ابتدا (٣) في الحاشية
(٤) قذا (٥) صفا (٦) لنفسه (٧) شا

واعلم ان اكثر بكاء [1] المرين واضطرابهم وصياحهم وحركاتهم إنما هو أسف على المقامات اذا سمعوا بها هاج مرادهم وهاجت رغبتهم ، وكذلك من رأيت من العلماء بالله يدعي المعرفة والقوة في القرب ثم (٥٩و)رأيته كثير الشهيق والعبث والطرب فانما ذاك من مطالعات القرب لانه رأى من لم يره وسمع من كلام الله تعالى ماليس هو غذاءه(٢أ)فيغلبه ذاك لان ذاك انما هو معه خطرات ، فاذا ورد عليه ما ليس له به عهد الا في الاوقات ازعجه ذاك وظهر منه ما تراه . واما الاقوياء في المعرفة فلا يكون لهم تلك الحال .

قلت : صف لي مقاماً في القرب احسن من هذا . قال : مقام القرب الذي لا بعده مقام الا الزيادة منه ؛ نسيان حظه من الله ونسيان حاجته الى الله ؛ اقتطعه قرب الله عن ذكر الله، فهو مع الله بلا وجود ذكره فلم يجد الفهم مدخلاً فيما بين الله وبينه فاستلبه الهجوم على الله عز وجل عن وجود الله فسقط العبد وبقي الله عز وجل ؛ فالحالات منه باينة وعنه واقفة ، غير انها اليه ناظرة وبأحكام مليكه فيه ـ اذا اذن له ـ جارية .

قلت : ما مقام هذا العبد في هذا الموطن ؟ قال : معلق بأنياطه [2] بعرى التوحيد .

قلت : زدني من هذه العين الصافية الغزيرة [3] المعدومة عند الخلق قبل ان افقدها .

قال : نعم.. ويحك...ثم يصيرون(٥٩ظ)الى[4] نسيان العلم الذي تسكنه الصدور وتحويه العقول وتجنه الفهوم . اعلم ان اهل القرب على الحقيقة نزول بعرصة التعظيم فذلك الذي استلبهم المحكوم عليهم وهم الحكام المسامحون الذين كانوا في الاشياء [5] بلا كون وبانوا[6] منها بلا بينونة . وبعد كل ما ذكرته لك غير ما اردته ولا اعرفه ولا ادري ما اريد ولا ما اقول ولا ادري من انا ولا من اين انا فهل تعرف ايها المستمع ما اقول لك ؟؟ هو عبد قد ضاع اسمه فلا اسم له ، وجهل فلا علم له ، وعلم فلا جهل له ، ثم قال : واشوقاه الى من يعرف ما اقول ويدخل معي فيما اقول .

قلت : صف لى وجدهم في هذا المقام . قال : نعم ، المقرب على الحقيقة كأنه منظور

(١) بكا (٢أ) هكذا في الاصل ولعل الجملة كانت هكذا ... ما ليس له به عهد . (٢) بانطياطه
(٣) الغريره (٤) مطموسة في الاصل (٥) الاشيا (٦) وجائوا

كتاب الصفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو سعيد الخراز رحمه الله

الحمد لله الذي خلق الخلق جبلة كما اراد فاحسن خلقهم وفتق مشيئته فيهم ثم دعاهم الى الفهم عنه ففهمهم حتى تفهموا عنه ما عرفهم فاجابوا بما اراد على ما سبق لهم عنده وله الحجة عليهم في التخلف عن حقائق الاجابة فاثر اقوام الدنيا فركنوا اليها فحجب الله قلوبهم عن الاخرة فخرجوا من الدنيا مغبونين على ما ركنوا اليها [illegible] وعقل اخرون امر الله ونهيه ورغبوا في حلال الدنيا فاخذوا ما طاب منها واجتنبوا ما نهاهم عنه ورغبوا في ثواب الله الذي وعدهم فاكتسبوا الحسنات وهربوا من السيئات فهم يرجون ثواب الله على انه لم تسمو ارواحهم الى محبته الله فخرجوا من الدنيا [illegible] على ما [illegible] من اعمارهم في طلب الدنيا [illegible] واستجاب اقوام بصدق قلوبهم لما اثارهم الله بفضله ودلهم على [illegible] واسبغ عليهم نعمه فسموا اليه بارواحهم فاثروه واحبوه واختاروا ما خصهم به واختارهم لما [illegible] ارواحهم في الملكوت فافادهم الغيب والصدق في التوكل والغنا والزهد وانسهم بذكره

نموذج رقم (١) من المخطوط
الصفحة الاولى من كتاب الصفاء

اليه فهو مطاوب معلق لا علم له ولا فهم ولا ارادة ولا حس ولا حركة وهو أنعم الخلق غير ان حقائق الوجود له في التوحيد حائلة بينهم وبين النعيم . فمقامهم الطرب بدوام النظر اليه فان قيل لاحدهم : ما تريد ؟ قال الله ! وان قيل لاحدهم [1] : ما علمك ؟ قال : الله ! ولو تكلمت جوارحه لقلن :الله . فاعضاؤه (٦٠و)[ومفاصله][2] وجوارحه ممتلئة[3] من نور الله ؛ لا يعرف الاّ الله ، فعلمه كله من الله فهو من الله وبالله والى الله ومع الله ؛ ذهبت نسبته وذهب حسبه . ولو قيل له : ما انت ؟ لم يكن له جواب من غلبة اقدار الله عليه ان يقول انا فهذا حقيقة وجدهم ، فاذا صار الى غايته في القرب فلا يطيق ان يقول الله .

قلت : ثم ماذا [4] ؟ قال : اعلم ان العلم بالله لا غاية له كما انه لا غاية لمعرفة الله فالعلم بالله مع النجباء يزداد ابداً لانهم مطلوبون ابداً ومطالبون[4أ] للزيادة لان الله جل ثناؤه ارادهم بالخصوصية فهم طالبون للزيادة في اخفى الخفية بلا اشتغال بطلب ؛ فعلمهم بالله يزداد بذلك فلذلك صار العلم بالله أخفى وادق من المعرفة بالله فأداهم العلم بالله الى معرفة المعرفة وذلك اوان ذهاب علم المعرفة والترجمة وذهاب الشرح والانقطاع عن الوصل فلو علم المريدون السائلون مالهم اذا خلوا به تَقِلُّ الحركات ويثقل الكلام عليهم فسبحان من بسطهم حتى يتكلموا أو ينطقوا بالعلم . وبعد ذلك ذهاب المعرفة . فلو قيل له الآن : من(٦٠ظ) أنت ؟ وما حالك ؟ وما تريد ؟ لم يقدر ان يقول الله كما قال في ذلك المقام : الله .

قلت : هيهات ! ! ورد من الحقيقة على الحقيقة حقيقة ثم ورد من الله على الله فلم يكن فيه فضل من الله لله . والله جل ثناؤه غالب على امره فمن غلبة امره على المقربين انقطعوا . وهكذا [5] يروى في الحديث انه انتهى عقل العقلاء [6] الى الحيرة بلا حيرة ، انما غلبه الود للتعظيم الذي هو فيه لا حيرة فقدٍ من انقطاع العلم والسلم .

قال ابو سعيد في عقب هذا الحديث : العارف اذا رجع الى حقيقة الايمان عرف انه

(١) في الحاشية « يقول : قال الله وان قيل لاحدهم ما » (٢) في الحاشية
(٣) ممتليه (٤) ماذي (٤أ) ومطالبين (٥) وهكذى (٦) العقلا

لله وان حركاته بالله وانه ذكر الله حين اراد الله بما اراد الله اذ كانت جوارحه لله فانه لا يطيق شيئاً [1] الاّ باذن الله .

قلت : فالعبد ولسانه لله والعلم في ذلك انه ذكر نفسه بنفسه حين اراد وسبّح نفسه بلسانه حين اراد ومجد نفسه بمحامده في مجاري قدرته . فاين انا وانت ؟ ؟ واعلم انه[لا][2] يصفو [3] للعارفين العيش على الكمال ولا تقر اعينهم على التمام لانهم غائبون بعد الحضرة وان كانوا حضوراً .

قلت : بين لى من ذلك شيئاً[4] ، قال(٦١و) : يكونون بلا همة ولا مراد ولا سبب ولا طلب ولا هرب ولا وجد ولا فقد . قلت: لا بد ان ننسبهم الى شيء . قال : احسنت اما اني ساذكر لك بعض ما تفهم منذلك . اعلم انهم يرون ملكه تاماً وذكرهلم تاماً بما اراد من الامور ؛ نصيبهم منه تام وما لديه تام قبل ان يكونوا وبعد ما كانوا ومراده منهم ولهم تام ؛ لا يزيدهم ذكرهم له قربة اليه ولا ينقصهم غفلتهم من الذي سبق لهم لديه وانما هذه أسامٍ معلقة على الحق ؛ ذكرهم له وعبادتهم له . ولو خلق جل وعز كل الخلق صماً وبكما وعمياً فلم يذكروه الى يوم يبعثون لما نقصهم ذلك ما سبق لهم لديه لقلة حركاتهم ، ولو تحركوا واجتهدوا بكل الحيلة ما زادهم ذلك شيئاً[5] الا انه تبارك وتعالى [6] زين كل قوم من الاخلاق والاعمال ما يشبه السابق لهم عنده ليكون عاجل بشراه لاوليائه [7] بالكرامة التي خصهم بها عنده في السابق وعلامة لمن خالفه وزاغ عن امره فيزداد اولياؤه شكراً لما عافاهم وله محبة واليه رغبة وعليه اقبالا لما اولاهم ، وعلموا (٦١ظ) ان ما بهم من السكون والمحبة والرغبة الاقبال كله منه عز وجل كرماً وتفضلا ورحمة ونعمة وكرمه واحسانه وأياديه لانه اكرم الاكرمين واجود الاجودين وهو معدن الجود والكرم والفضل والاحسان . ثم انه بجوده وكرمه ولطفه يحب ان يذيق اولياءه [8] في العاجل كرامته وينعمّهم بطاعته

(١) شيا (٢) في الحاشية (٣) يصفو (٤) شيا
(٥) شيا (٦) وتعالى (٧) لاولياية (٨) اولياه

ويلذذهم بمحبته جوداً وبراً . فمن اطلع من العارفين على هذه الكرامة والذخيرة التي كانت لهم عنده سابقة قرت عينه ودام سروره ودام في سره خفى حذره [1] لعظيم قدر معرفته بالمنة عليه .

فهذا بعض علم اليقين وهو اول علم الموحدين من اهل الخالصة ولا يسكن فيه الا من اسكنه الله . وقبل ذلك امور كثيرة ومقامات كثيرة وان هذا العلم يسلب كثيراً من عله وكثيراً من وجده ومن عباداته معنى يختلف عليه احواله فينكر نفسه . وان هذا العلم هو الصفاء[2] لان كثيراً من العارفين يحبون الله لانفسهم ويذكرونه بانفسهم ويريدونه لانفسهم (٦٢و)

٢ — كتاب الضياء :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحتجب من الاوهام بعلوه ، المنفرد عن الافهام بعزته ، المتوحد في الارواح بوجوده ؛ علا فدنا ودنا فعلا ، يعلم ما تكنه الصدور وما بطن في الغيوب واستقر في المكنون من خفيات الهوى [3] . ثم انه تعالى بالمنظر الاعلى خلق لنفسه صفوة من بريته ؛ خلقهم على صورة البشر ثم علاهم عن طبائع البشر وصفاهم من كدر الظلمة ومد بهم الى معالى الهمة وسلك بهم سبيل المودة ثم علاهم بفهومهم الى معالى الغيب وبلغهم بافهامهم الى مواطن النور وفتح لهم عن بحار السرور واطلعهم على مكنون الجواهر في عمق الطريق ثم غرس في فؤادهم اشجار المعرفة وأثمرها بلطائف الشوق والمحبة ، ثم البسهم هيبة الروحانيين ونور الربانيين وتصديق [4] الراسخين واطلعهم على هموم الخلايق اجمعين .

ذلك حديث ابي سعيد عن النبي ﷺ انه قال : « ان لله صفوة من بريته قسم لهم من حظوظ كل نفس ، فهم مشرفون على هموم الخلق وان ابا بكر منهم » . فلما طالعهم (٦٢ظ) باشاراته محققهم على آثارهم ودهشهم في مناجاتهم وحيرهم في ملاقاتهم فان رأوا[5] بشراً لم يعقلوه

(١) هكذا في الاصل ولعلها جذلة (٢) الصفا (٣) الهوا ولعلها الهواجس
(٤) وتعريف وفي الحاشية « وتصديق » التي تبدو اكثر ملائمة في هذا الموضع .
(٥) راو

وان[1] انطقهم[2] شبح لم يروه وإن حاورهم مكلم لم يبصروه لما قد جذب[3] الحق اوهامهم وجالت [4] في البهاء [5] ارواحهم وتاهت [6] في النور عقولهم ، فهم أهل تيهوهية واهل صيرورية . بانوا عن البين وخرجوا عن النفوس واتصلوا بالحبيب فهم في بهاء [7] وحدانيته جائلون ، وفي نوره تائهون ؛ رفع الحجب عن قلوبهم فتجلى لارواحهم وكشف عن افهامهم حتى عاد عليهم روح اليقين فرجعوا عنده شاكرين وتاهوا في بهائه متحيرين . ثم افترق الطالبون غير ذلك على سبل شتى وهم سبع طبقات :

الاولى منها : اهل الاشارات ، طلبوه على ما سبق لهم [8] من قوة الاشارة وهم اهل قدم صدق عند الله . في بيان صفتهم : ان لهم قدم صدق عند ربهم فبالقدم اشار اليهم فهم اهل الطوالع والاشارات ، حظهم من الله ذلك .

والثانية [9] : أهل ولوج ودلوج : أقاموا بصفاء [10] العلم طاقتهم . فكلما صفا العلم لهم تزايدت الرؤية لهم كشفاً .

والثالثة [11] : اهل المجاهدة والمبادلة [12] بدلوا المحبة [13] بخالص (٦٣و) الود فصفا لهم التحقيق في عبارة القدرة وهم اهل التلوين في احوالهم .

والرابعة [14] : أهل الخصوصية ، اعطاهم من لدنه ما يصلون اليه به فلم تظهر لهم في المعلوم صفة [15] ولم يتغير لهم في الكون حالة لان الخلق متحيرون [16] في ادراك صفته .

والخامسة [17] : اهل تجريد بان عليهم الكون وحال عليهم الحول فاوردهم بحار الصدق فسقاهم من ود الود فكلما ازدادوا شرباً من الصرف ازدادو بها قرباً من الحبيب .

والسادسة [18] اهل استيلاء وتمكين . غيبهم عن العلوم واوجدهم في الغيوب وستر

(١) مان (٢) نطعهم (٣) حدب (٤) رجال
(٥) البها (٦) وتاه (٧) بها (٨) اليهم
(٩) والثانى (١٠) بصفا (١١) والثالث (١٢) والمناولة
(١٣) الميجه (١٤) والرابع (١٥) طبقة وفي الحاشية صفة
(١٦) التحيرون (١٧) والخامس (١٨) والسادس

عليهم كل ودائع [١] ... فاذا تجلى لهم كانوا اهل وجود واذا رجعوا كانوا اهل خصوص. فهؤلاء الطبقات الروحانيون الذين طهرهم الله بالتجلي وفتح لهم باب الرؤية وهم ست طبقات ، كل طبقة قد خرجت الية باشارة وفتح لهم باباً من ابواب الكرم فرضت منه بذلك ورجعوا عنه

واما الطبقة السابعة فنهم اهل المحاباة ، كشف لهم عن حقيقة المحاباة فخرجوا بكليتهم اليه فاقامهم من حيث لا حيث وانقطعت [٢] عنهم الاسباب فلم يوجد لهم ثمَّ سبب ثم اخلصهم بالاصطفاء [٣] ثم فتح لهم عن مكنون بهائه وخزاين ذاته ومعدن نوره فشرح لهم من شرح قربه حتى نظروا (٦٣ظ) بعين القرب الى ملكه وعظمته ففنوا عما هم به معلولون [٤] وازال عنهم ما هم به موصوفون [٥] فغابوا عند ذلك في عظمته ومروا في ميدان ازليته وساحوا في بحار وحدانيته حتى وصلوا الى عين غيبه ومعين توحيده فصاروا أسراء في جوار بهائه وقد خرجوا عن السياحة ووقفوا على باب كرمه فيقول لهم : يا صفوتي من بريتي ويا امنائي [٦] من خلقي ارتفعوا الى المعالى فاني افتح لكم عن معادن حكمتي لانقطاعكم اليّ واقبالكم عليّ وقصدكم نحوي . ثم يصير البهاء اوطانهم على باب كرمه فيشيرون غيباً في غيب ، فهم في صفتهم بصفتهم موصوفون وصفاتهم عنهم زائلة ؛ تلاحقت صفاتهم بصفاته باطلاعهم على غيبه ؛ درّت العلوم عليهم من رسوج اليقين وكشفت الحكمة لهم من الحق المبين فنطقوا بالغرائب والعجائب وكيف لا يكونون [٧] أهل غرائب وعجائب وقد ساحوا في بحار وحدانية الله حتى وصلوا الى عين عينه ومعين توحيده فهذا حظهم المبذول وعطاؤهم الدائم الموصول لانهم على عظيم قدره وجليل ما خصهم الله به من عظيم اياديه منفردون [٨] بخالص الرؤية موحدون [٩] في حقايق العيان ؛ ادركوا هنالك اوابد التوحيد وشواهد (٦٤و) علم اليقين ولم يصلوا الى ذلك حتى صفوا من كل درن . جعلنا الله واياكم ممن بنوره الى نوره ارتقوا واخلصنا واياكم بذكر ذكره بمنّه وفضله .

---

(١) كلام منقطع بعد هذه الكلمة (٢) وانقطع (٣) بالاصطفا
(٤) معلولين (٥) موصوفين (٦) الناي
(٧) يكونوا (٨) منفردين (٩) موحدين

٣ — كتاب الكشف والبيان :

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

قال أبو سعيد رضي الله عنه : الحمد لله الخالق البري الصادق الوفي ، الرازق الملي الواجد العلي ، الماجد القوي ، ناصر من استنصره متعززاً به وحافظ من استحفظه متوكلاً عليه وولي من تولاه مخلصاً له . ومعين من يرضاه مفوضاً اليه ، الذي توحد بالقدرة والسناء [١] وتفرد بالعزة والبهاء [٢] وتطول بسبوغ [٣] النعماء [٤] وتفضل بجزيل العطاء وتعالى [٥] من ان يكون له شريك أو ظهير أو نصير . والحمد لله الذي أنار السبل وأوضح الطرق وأنار المناهج ولُحبَ المدارج بانبيائه [٦] الذين اصطفاهم ورسله الذين انتخبهم فبلغوا الرسالة وادوا الأمانة ودعوا الى الايمان وجاهدوا في الله ذوي الكفر والطغيان ، ثم ختمهم بأشرف الأنام ارومة واكرمهم جرثومة [٧] وأحسنهم (٦٤ظ) خلقاً واكرمهم عرضاً فرفع به الحق بعد اتضاعه وقمع به الشرك بعد ارتفاعه واظهر الاسلام ولو كره الكافرون . فصلى الله عليه صلاة [٨] دائمة نامية تتصل باتصال الجديدين ولا تنقطع [٩] على مرور العصرين وعلى آله وسلم كثيراً .

أما بعد فان قوماً من أهل التصوف غلطوا [في] التمييز بين مقام الانبياء [١٠] والاولياء فجعلوا مقام الأولياء [١١] ارفع من مقام الانبياء وانما ذلك بسبب [١٢] حجابهم عن عين الحقيقة . ولو كشف لهم الغطاء [١٣] في الأمر لميزوا بين الأصول وتعلموا ان الشفاعة للأنبياء في الدنيا والآخرة . أما في الأولى فبلسان الرسالة والأمر والشفقة والنصيحة للخلق . وأما في الآخرة فهم الشفعاء للخلق باذن ربهم وهم السابقون في الدين وهم الذين يُثَبّتون الأصول في اساس الدين وهم أمراء الدين مصطفون من جميع العالمين . قال الله

---

(١) والسنا (٢) والبها (٣) سوع (٤) النعا (٥) تعالي
(٦) انبياهه (٧) جرثومه (٨) ملوة (٩) ينمطع
(١٠) الانبيا (١١) الأوايا (١٢) سبب (١٣) الفطا

تعالى « ان الله اصطفى آدم ونوحاً ... الآية » فمن أي [1] وجه جرت ألسنةُ أهل الغلط في تقديم منزلة الأولياء على منازل الانبياء ولو علموا حقيقة ذلك لظهرت لهم هذه الاصول ، ونعوذ بالله (٦٥و) من هذه المقالة .

وقد نظر اهل الحق في هذه الأصول وفي تدبير الملك تعالى ذكره فجرت على ألسنتهم ما وافق كتاب الله فجعلوا الخلق متطفلين على موائد الانبيا [2] عليهم السلام ، لأن النبوة هي الزيادة على الولاية لان الانبياء كانوا قبل بدء النبوة أولياء ثم زادهم الله النبوة زيادة على الولاية وهم من الله حكمة بالغة وآيات بينات وهم مخلصون في الاعمال صادقون فى الاحوال مبالغون في الدين . وانما غلط أهل الدعوى من وجهين ، من قصة موسى وخضر وقصة سليمان وآصف ولا يعلمون ان كل ولي في جنب نبي هو شرف [3] النبي صلى الله عليه وسلم وان كان الاولياء يشيرون من مراد الملك للخلق ، فان الله عز وجل قد خاطب الانبياء عليهم السلام بلسان القدرة .

ألا ترى ان الخلق قد أمتنعوا عن استماع اشارة الاولياء دون الانبياء لان كل ولي هو خارج على أثر نبي وظاهر في جنبه ، ألا ترى قصة خضر ولقمان حيث قال له خضر : انت لقمان الذي ذكرك الله ، وددت انه ذكرني كما (٦٥ظ) ذكرك واكتني السباع .

وقد ذكر الله عز وجل الانبياء بأساميهم وانزل الكتب عليهم وذكرهم فيها كما قال الله عز وجل « وكلّم الله موسى تكليماً » وقال جل وعلا « واتخذ ابراهيم خليلاً » وقال تعالى جله ، ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي .. » وقال سبحانه ، يا داود انا جعلناك خليفة في الارض .. » ألا ترى ان الله تعالى ذكر الانبياء باسمائهم وأنزل الكتب عليهم . وكل ولي هو مذكور بالولاية لا بنفسه واسمه الاّ قليلاً منهم فهم مستورون عن الخلق . ألا ترى ان جميع المؤمنين ولد آدم عليه السلام هم جنود الانبياء ، وتبعهم من الانبياء ومن هو دون الانبياء ، رحمة الله عليهم جميعاً . والله ، تبارك وتعالى ، خلق الملائكة ورفع درجة بعضهم على بعض وخلق الانبياء على تفاضل بعضهم لبعض ، وفضل الانبياء [على الاولياء] اصطفاؤه اياهم على

(١) منای (٢) مؤيد الانبياء (٣) هنا انقطاع في الكلام فلعل الناسخ اسقط بضع كلمات

سائر [1] الخلق . ألا ترى قول الله عز وجل « ولقد اخترناهم على علم على العالمين » وشفقة الأولياء بحكمة الملك لان الله عز وجل انزل [2] المقربين من الملائكة الى [3] الارض وبعث من خيرة الخلق الانبياء [4] وكان بعث الانبياء (٦٦و) من سابع الدرجات في الخلق كما كان ينزل [5] الملائكة الى [6] الأرض من سابع السموات. وكما قال النبي ـ ﷺ ـ : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر » والله تبارك وتعالى خلق الملائكة على مقامات معلومات وكل ملك هو مستقيم على مقام المعاملة والعبادة . وهم يرفعون في الدرجات . وخلق الانبياء على مثالهم في معاملة قلوبهم لأن نفوس الملائكة معصومة من كل آفة . وخلق الاولياء على مثالهم بالمعرفة لا بالمعاملة . وأرواح الاولياء [7] معصومة من خاطر التشبيه . وشرف الملائكة [8] باستقامة انفسهم وصفاوة الانبياء بمعاملة قلوبهم . وسرّ الاولياء باشارة أرواحهم لأن الملائكة خطباء [9] بألسنتهم والانبياء مستقيمون بقلوبهم ، والاولياء ناظرون بأرواحهم وكلهم مشرفون على مقاماتهم ومستغرقون في برّ معروفهم وكلهم اسراء [10] في حكم ربهم الا ترى ان كل ملك من ملوك الدنيا [له] عمال اهل الولايات والملك مدبر لأسباب [11] اهل ولايته عالم بمراد اهلها [12] وهو يقسم العطايا بينهم على قدر مقاماتهم ودرجاتهم . فخالق الخلق تعالى ذكره (٦٦ظ) مدبر في اختلاف صور الخلق . قاسم لارزاقهم على تفاوتها. فقسم [13] ارزاق الملائكة فجعل قسمة الملائكة منها استقامة العبودية وقسمة الأنبياء من الارزاق على ثلاثة أوجه [14] : على النفس والقلب والطبع ، فقسمة النفس جعل من المأكول والمشروب . وقسمة الطبع من النساء والطيب . وقسمة القلب من الكتاب والحكمة وابلاغ الرسالة . وقسمة الاولياء منها على منازل تلك [15] القسمة : قسمة النفس وقسمة الطبع وقسمة القلب . فقسمة النفس من المأكول والمشروب وقسمة الطبع من

(١) ساير (٢) كرورت الكامة (٣) الي
(٤) الانبيا (٥) يزول (٦) الي (٧) الاؤليا
(٨) المليكه (٩) خطبا (١٠) اسرا (١١) لاساب (١٢) اهله
(١٣) فقسمهم (١٤) ثلثه (١٥) ذالك

الامر المباح وقسمة القلب من معرفة نصول النفس . فأما الانبياء والاولياء وسائر الخلق فشرفهم بالله كما قال الله عز وجل « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين [1] » . فأما عز الله تعالى فيه لابشيء دونه وعز الانبياء بعز الملك جل وعز ، وعز المؤمنين [1] بشـــرف التوحيد وشرف التوحيد بتلقين الملك .

وليس لأحد أن يزن مقام الانبياء والاولياء لان قلوبهم مستغنية عن إحاطة علم الخلق بمقاماتها وهم مستعلون مقام الولاية منتظرون مشيئة الملك ، ومن محاسبة انفسهم من الحاصل الذي هو علمهم في تقصيرهم في أمورهم فلا يتفرغون (٦٧و) الى انفسهم فكيف يتفرغون الى غيرهم . قال الله عز وجل « لـكل امرئ منهم يومئذ شـــأن يغنيه » قال : وعلامة الاولياء [2] في دار الدنيا هو شغلهم بخاطر قلوبهم وعلة ابدانهم وفي نظر تدبير معروفهم ؛ لهم حيرة فى دار الدنيا ، وحيرة سائر الخلق يوم القيامة [3] . وكيف يتفرغ أحد الى أن يقول: أنا وانت الا من حجب عن حقيقـة العبودية ألا ترى ان مبدأ الدعوى كان من الشيطان حيث قال : « أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقتـــه من طين » . وكل قائل من جميع الخلق : أنا ، كان قوله ذلك مشتقاً من الـكبر والعمى عن العبـــودية . فاذا قال العبد : أنا ، يقول الله عز وجل : أنا لا أنت . وإذا قال العبد : انت ، يقول الله عز وجل : انا وانت ، فغيرة الاولياء [4] على الأولياء [4] من هذه الجهة ان لايقول أحد منهم : أنا لان الله تعالى اخرج من أدنى الاشـــياء [5] أشرف الأشياء [5] حين جعل نبيـه موسى - صلى الله عليه [وسلم] في جنب خضر في الصبر الذي ذكر عند اشارته في الحجر [6] . وكل من وقعت [7] اشارته الى نفسه لم يخل من الوقوع في المحنة ، وانما سبب اشارة ابن آدم الى نفسه ابتلاء قلبه بالمحنة [ثم لايخلو ان يتعدى الأذى] [8] من القلب الى جميع النفس بجوارحها . ولو ان جميع القلوب قبلت الحق لـكان الحق شـاهداً بجميع (٦٧ظ) الناس في كل شيء ولما كان [يكتم بيان الحق والملك فى كل شيء ولا يكون] [8] هذا العلم

(١) المومن (٢) الاوليا (٣) القيمة (٤) الاوليا (٥) الاشيا
(٦) هكذا في الاصل ولعله اراد الـكهف لان الاشارة الى موسى والخضر فيها انظر سورة الـكهف ٦٧ ، ٧٢ الخ . (٧) وقع (٨) (ثم لا يخلوا من ان نتعد بادى المحنة)
(٩) في الحاشية (١٠) في الحاشية

الا لأهل الإلهام واهل الانبساط في الحـكم ممن اسكن الله قلوبهم محبته .

وقال قوم من الاولياء ان الله تعالى كلم موسى تـكليماً وكلم الانبياء بوحي الملائـكة وكلم المؤمنين بالالهام منه كما الهم الله تعالى أم موسى فقـــال « وأوحينا الى أم موسى » وكان وحيه اليها أمره اياها بالإلهـــام « ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم » وكما الهم الله النحل فقال عز وجل « واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر » وقال عز ذكره « فبعث الله غراباً يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه » ليفعل ابن آدم مثل ذلك .

وقد الهم البهائم [1] ثم سخّرها لابن آدم لـكرامتـه على الله ، فمن يشك في الهام الله ابن آدم مع شرفه على ســـائر الخلق . ومن الانبياء من لا يوحى اليهم بالملائـكة ولـكن يوحى اليهم بالالهام والرؤيا في المنام فورث ذلك الصديقون من المؤمنين .

وقال بعضهم : قد جعل الله للانبياء علامات وآيات خصهم بهـا دون سائر الناس كلهم ليس لأحد أن يدعيها ولا يعطاها غير الرسل وجعل لهم الكرامات والآيات . وأما (٦٨و) الآيات فلا يعطاها غير الرسل وأما الـكرامات فهي رحمة الله يكرم بها من يشاء [2] من عباده وهي العلم والحـكمة والفوائد .

وأما الآيات فانها لا تـكون الا للأنبياء ولا يمـكن أحد ان يدعيها ، الا ترى قصة ابراهيم إذ قال للنار « كوني برداً وســـلاماً على ابراهيم » . ومن الـكرامات حين أحيا الطيور بمسألته ربه ذلك . وكذلك من الـكرامات حين رفعه الى الملـكوت فأراه ما أراه من عظمته وجلاله . فمن الـكرامات ما تـكون للانبياء وقد يعطاها الاولياء . واما الآيات فانها لا تـكون الا للأنبياء . ومن الـكرامات ما تـكون للأنبياء خاصة ومنها ما تـكون للصديقين خاصة على من دونهم من المؤمنين حين تنالهم رحمته عنـد الضرورة [فانظر] [4] الى [أثر] [3] رحمة الله ولطائفه على خلقه وليس ذلك بمستكثر من كرمه وجوده وانه الفعال لما يريد .

(١) البهايم (٢) يشا (٣) في اعلى السطر (٤) مطموسة في الاصل

وفي وجه آخر : ان الانبياء جرى ذكرهم في العلم السابق ؛ لان اول الخلق آدم وهو النبي وجميع الخلق خرجوا من ظهره فلا يجوز ان يكون الفرع (١) سابقاً في حاله متقدما على الاصل في ذاته ؛ لان اول النبيين آدم وآخرهم محمد – صلى الله عليه وسلم – وكلهم مقتدون (٦٨ظ) بأولهم (٢) متمسكون بالكتاب والسنة . واعلم ان كل نبي (٣) من الانبياء امتحن بمحنة الاشارة الى نفسه جعل الله سبب انتباهه في صحبة ولي من الاولياء واجرى على لسان الولي (٤) من الحكمة والاشارة الى المعروف . وان امتحن الولي بمحنة الحجاب عن بقاء المنة تغشى قلبه المحبة كان سبب صلاح قلبه وهو يشبه الانبياء الا انه يهتدي بقلبه ويجتهد على آثار الانبياء . وكل ولي هو مقتد (٥) برسالة الانبياء وكل نبي هو مشفق على حكمة الاولياء من طريق المشيئة وطريق الهوى . وكل ولي في جنب نبي هو متواضع ، عالم بحقه ، عارف لحرمته صاغر عند منزلته . والله جل وعز جعل الانبياء والرسل بين سائر الخلق مثل صاحب الجيش بين العسكر ، وسائر الجند والعمال لا يجدون بداً من طاعة صاحب الجيش ويتبعونه في اشارته لهم والائتمار بامره والانتهاء بنهيه . فكذلك كل من هو دون الانبياء والمرسلين من الاولياء ومن دونهم من المؤمنين لا يجدون عن طاعة ربهم وعن طاعة انبيائه ورسله سبيلاً . فجعل الله تبارك وتعالى القرب والعطاء للانبياء والرسل والاولياء والصديقين (٦٩و) وجعل لسائر الخلق من المؤمنين قسمة الارزاق . الا ترى قياس مثل ذلك من امر ملوك الدنيا كيف ميزوا ابن الوزراء (٦) والقواد والأجلة من عساكرهم وبين سائر الجند (٧) في القسمة فجعلوا قربهم وعطاءهم (٨) للوزراء (٩) والقواد والأجلة وجعلوا قسمة الارزاق لمن هو دون هؤلاء من سائر الجند . فقسمة العطاء من المعطي انزال الحكمة على قلوب الانبياء والاولياء فحكمة الانبياء على موافقة كلام رب العالمين لان الانبياء دالّون (١٠) على الله بافعاله وداعون

(١) الفزع (٢) بلاوم (٣) منى (٤) ولي (٥) مقتدي
(٦) الوررا (٧) الجبل (٨) وعظام (٩) الوررا
(١٠) ذالون

الى الله بألسنة الامر ؛ وحكمة الاولياء (١) من بحر القدرة لان الاولياء هم ناظرون في تدبير الملك غير مامورين بدعاء (١) الخلق الى الله على سبيل دعاء (١) الانبياء (١) بالرسالة ولكن قلوبهم منورة بنور الهداية ونور الحكمة ونور المعرفة ، لان اشارة الاولياء (١) ارق من عبارة الانبياء (١) لان السنة الانبياء (١) مأمورة في تحريك اداء [أمر] (٢) المعروف . وارواحهم مستمعة في مجالسة المعروف والسنة الاولياء متحركة بذكر المولى وقلوبهم ناظرة الى مشيئة المولى وارواحهم مشيرة الى قرب المولى (٦٩ظ) . وليس في السنة الاولياء محنة الامر وليس في قلوبهم محنة العظمة وليس في ارواحهم محنة النظر فلذلك صارت عبارة السنتهم دقيقة لطيفة ونظر قلوبهم صار الى الفرح والسرور واشارة ارواحهم مع الاجلال والتحير وزوال القرار (٣) ، الا ترى ان كلام الانبياء مع السكون والقرار واشارة قلوبهم على الطمأنينة ومجالسة ارواحهم على الانس ؟ فقد وجب على الاولياء استماع هذا التمييز بين الانبياء والاولياء والبحث عن حقيقة الامر لتزول عنهم آفة الدعوى وليتخلصوا عن مهلكة التهمة والظنة . الا ترى ان الله تبارك وتعالى زين الارض بالمطر والنبات وعمرها بالسلطان وزين السماء بالشمس والقمر والنجوم . وكذلك زين الدين بالنبوة والرسالة والكتاب فجعل النبات قسمة بين جميع الخلق وجعل المطر قسمة احيا به (٤) الارض وجعل السلطان سببا لصلاح امر الخلق وسكون قلوبهم . وخلق الشمس في السماء مشرقة بضوئها (٥) على الارض وجعل نعم الارض منها في نورها وضوئها وكذلك من القمر والنجوم . وجعل الدين على (٧٠و) مثالها فانزل الكتاب على مراده وبعث على اختياره الرسل وبين النبوة على عاده فنفع اهل الولاية في قبول الحق وانتظار تدبير الملك وكل نبي وولي هو مستغرق في بحر المشيئة لان اصل ما قد جرى ذلك هو من مشيئة (٥) الله تبارك وتعالى .

(١) الهمزة ساقطة (٢) في الحاشية
(٣) التديرار والتصحيح من الحاشية (٤) اصابه
(٥) بضوها (٦) مشية

الجزء الثاني من كلام الشيخ ابي سعيد الخراز
رحمة الله عليه في علم الاشارات
وفيه من الكتب
كتاب الفراغ وكتاب الحقائق

نموذج رقم (٢) من المخطوط

الجزء الثاني من كلام الشيخ ابي سعيد الخراز
رحمه الله في علم الاشارات
وفيه من الكتب :
كتاب الفراغ وكتاب الحقائق (٧١ و)

٤ — كتاب الفراغ :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ ابو سعيد رحمه الله : اعلم ان الخلق لو اشتغلوا بانفسهم في ذكر المولى (١) لتفرغوا عمن دونهم ولوجدوا في ذكر ربهم غُنية (٢) عن ذكر ما دونه ونالوا من الكفاية في ترك اشراك [من دون] الله احداً في همهم ومرادهم اذ عرفوا ان الله عز وجل خالق الخلق وقاسم الارزاق ؛ مدبر الامور على مراده موجود في معرفة العارفين ؛ مراده (٣) المعروف ، في هذه الاسباب لانتباه الخلق بتدبير المولى ولاستقامة العبودية في امر المولى ولوفاء (٤) المعاملة في قضاء (٤) المولى ولاخلاص التوحيد في اطلاع المولى ولصفاوة المعرفة في اشراف المولى . فاستقامة العبودية في ثلاثة (٥) اشياء (٦) وهي : اجهاد النفس وسكون القلب

(١) المولي (٢) غيبه (٣) مراد (٤) بلا همزة
(٥) ثلته غير منقوطة (٦) اشيا

وفناء (١) الطبع . ووفاء المعاملة في ثلاثة اشياء وهي : حفظ الارادة وانابة القلب الى الله تعالى وعلاقة الروح بالمشيئة واخلاص التوحيد في [ثلاثة] (٢) اشياء وهي : ترك التشبيه ووجود الوحدانية وشهود الفردانية . صفاوة المعرفة في ثلاثة اشياء وهي : ترك الارادة وفناء الهمة وقهر المشيئة من قول الله تعالى « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام » وقوله عز وجل « كل شيء هالك الاّ وجهه » وقوله عز وجل « كل نفس ذائقة الموت » والنفس وآلتها ميتة والطبع وآلته فان والقلب وآلته هالك ، والمعرفة بالمعروف باق والروح بالحق باق والولاية في العلم السابق باقية .

فاما موت النفس ففي ثلاثة (٣) أشياء (٤) وهي : اليأس عن المخلوقين وقطع الطمع من مدح المخلوقين وعمى البصر عن شرف المخلوقين .

وفناء الطبع في ثلاثة اشياء وهي : اجهاد السر على معرفة المعروف وتحريك النفس في انتظار التوفيق وحفظ الارادة في اطلاع المولى

وهلاك القلب في ثلاثة اشياء وهي : فتح الغيب (٥) على ظاهر (٦) القلب ونظر المولى وغيرة المولى على الفؤاد .

وبقاء المعرفة في ثلاثة اشياء فالاول : بقاؤه (٧) بفناء (٨) غيره . والثاني : بقاؤه في بقاء السّر . والثالث : بقاؤه في بقاء العلم .

وبقاء (٩) الروح في ثلاثة (١٠) اشياء (١١) وهي : بقاؤه في العلم السابق وبقاؤه في العلم الازل وبقاؤه في العلم الابد .

وبقاء الولاية (٧٢و) في ثلاثة (١٢) اشياء (١٣) اولها : جرى (١٤) العلم بها حين جرى. وثانيها : ما قد كان في عهد الميثاق . وثالثها : عند خلقه آدم من قول الله عز وجل « اني اعلم ما لا

(١) فنا (٢) في الحاشية (٣) تلته (٤) اشيا
(٥) العب (٦) طاهر (٧) نفاوه (٨) بقنا (٩) يقا
(١٠) بلته (١١) اشيا (١٢) تلته (١٣) أشيا
(١٤) جري

تعلمون» فعلم الله تبارك وتعالى في خلقه آدم انه خلق ظهر آدم بقدرته وجعله مسكن الانبياء والاولياء وكان علمه محيطاً بما يخرج من ظهره من جملة الانبياء والاولياء وكانت الملائكة قد جهلت علم ذلك . ثم اخرج جميع الارواح بقدرته من ظهره فاجابت ربها [1] حين قال عز وجل « الست بربكم قالوا بلى .. »

فاما الارواح في ذلك الوقت فكانت مجتمعة [2] : ارواح الاولياء وارواح الاعداء

العقل ٥ الرحمه الاراده الصلابه الاجتهاد
الاستقامه الانابه الرعايه التوفيق
السكينه السكوت الفكر الوجل الخلوه
الاهتمام الاحتمال الطاعه الافتقار
المحاسبه الرياضه الاستعداد [illegible]
الذكر التسليم الهدايه الاسماء حسن الظن
الدعا الفرصه السنه حفظ الحرمه
وجدان حلاوه محبه الصحابه وجدان حلاوه السنه
وجدان حلاوه الحبه فذلك [illegible]
مع [illegible] وجدان حلاوه حب الصحابه وجدان [illegible]
[illegible] العالمين وصلى الله على محمد [illegible]

نموذج رقم (٣) من المخطوط

حين كانت خالية من النفوس والطباع . فلما خلق الله نفوس الخلق وطباعها تميزت ارواح الاولياء ونفوسهم وطباعهم عن ارواح الاعداء ونفوسهم وطباعهم على ما هم عليه من الضلالة والغي فرجعت ارواحهم عن اجابة الحق .

واما اجابة ارواح الاولياء[3] لربهم عز وجل فهي على الابد فان الله ابداً ابداً[4] والاولياء

(١) ربهم (٢) مجبه (٣) الاوليا (٤) في الأصل ابدا بدا ولعلها كانت أبد الأبد

معلومون للعالم [1] في علم الابد وخلق نفوسهم مطبوعة على طباع سماوية وهم مجيبون الحق .

فاما اجابة نفوسهم فهي في العبودية واجابة قلوبهم من (٧٢ ظ) حد المعاملة واجابة ارواحهم من مشاهدة المعرفة . وارواح جميع الخلق هي مطمئنة مجيبة لربها لان الارواح خلقت من موضع البقاء . فخلق ارواح المؤمنين من موضع النور وخلق ارواح الكافرين من موضع الظلمة في قول الله عز وجل « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »

فاما مخالفة من خالف من الجن والانس فنفوسهم دون ارواحهم فاجابة الارواح هي لله جل وعز وإجابة الخلق للانبياء [2] هي بالنفوس دون الارواح لان الخلق هم خرجوا بعضهم من ظهر بعض وخرجت الارواح من مجرى القدرة . والنفس قائمة ببقاء الروح وزينتها ببقاء الروح . فارواح المؤمنين كارهة لابدانهم وابدانهم سجون ارواحهم وارواح الكافرين طائعة لابدانهم فابدانهم بساتين ارواحهم من قول النبي ﷺ « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وقوله ﷺ « من احب لقاء [3] الله احب الله لقاءه [3] ومن كره لقاء [3] الله كره الله لقاءه [3] » . وارواح المؤمنين محبة للقاء [3] الله لان الله عز وجل خلقها من موضع الكرم سماوية ثم انزلها وجعلها في موضع الغيب ومواضع الدناءة [4] والخسة [5] فهي منتظرة (٧٣ و) لدعوة ربها مشتاقة الى زوالها من مكان الفناء الى مكان البقاء .

وارواح الكافرين خلقت من موضع الظلمة وانزلت الى مكان الشهوة فهي على وجل من دعوة ربها يوم يدعوها . وهم في غفلة عن استماع دعوة الرسل عليهم السلام ، مدبرون عن الحق ، فارواحهم كارهة للرسل عند الوفاة كما قال الله عز وجل « يوم يستمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير » ، فلينظر اهل التوحيد وأهل العقل في هذه الاصول وفي هذا الشرح فان عامة الخلق خارجون من موضع الحاجة اليه لانهم اشتغلوا بطلب الفروع عن طلب الاصول ، فيجب على اهل العقل طلب بيان الحكمة واصول الدين حتى يزول عنهم [6] الاشكال ويصلوا الى بيانه حتى يكونوا مشتغلين بتدبير

(١) معلوي العالم (٢) الابنيا (٣) الهمزة في كل الكلمات محذوفة
(٤) الدناه (٥) والخه (٦) عن

المولى ناظرين في افعال المولى كما قال تبارك وتعالى لداود عليه [السلام] (١) « الا من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني » . وكل طالب طلب ربه لم يجده الاّ بعد مراد المولى وجوده اياه لان طلب المخلوق لا يخلو (٢) من السهو والجهل بموضع الطلب والمولى (٧٣ ظ) عالم باحوال العبد في الدنيا والآخرة والعارفون بشهود (٣) المولى صاروا طالبين للمولى وهم متصلون بالله باصول المعرفة محجوبون عن الخلق لشغلهم بالخالق . كما قال الله تعالى « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .. »

واعلم ان اصول الدين على اساس استنباط الحكماء (٤) والعقلاء (٤) فاستنباط الحكماء من معرفة اصول الدين ومن معرفة اصول النفس ومن معرفة اصول الدنيا لان اصول الدين موصوله بمراد المولى واصول النفس موصولة باصول الدنيا وكل ذلك قائم باركان المعرفة من مراد المولى والمولى مشير الى اصول الاشياء كما قال تبارك وتعالى « يختص برحمته من يشاء » وخطاب المولى من المشيئة (٥) مع الانبياء والاولياء وخطاب المولى عن آلائه (٦) ونعمائه مع عامة المؤمنين . وخطاب المولى مع الكافرين عن افعالهم كما قال الله عز وجل « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ... » وكل ذلك بمشيئة الله عز وجل . فالمؤمنون موافقون لمراد ربهم (٧) في ابد الابد (٧٤ و) وارواحهم موافقة للاجابة في بدو (٨) الامر وهم في الحين موافقون لامر الله في السر والعلانية وهم منتظرون في الآخرة رحمة الله عز وجل وكرامته.

ولو ان الخلق جميعاً كانوا منتبهين للحق لصارت الدنيا لهم مرآة كمرآة (٩) الوجه ينظرون فيها بعين الغيرة (١٠) ولكنهم لما غشيتهم الغفلة والسهو والنسيان قصرت اوهامهم عن بلوغ الحق وعجزت علومهم عن ادراك باطن الامور ولا حول ولا قوة الاّ بالله العظيم .

واعلم ان الله تبارك وتعالى يطالب عباده بالاعمال على قدر توحيدهم ، لان التوحيد اصل جميع الاعمال . واما شرف ابن آدم بشرف (١١) التوحيد فان كان العبد مخلصاً في التوحيد

(١) في الحاشية (٢) يخلوا (٣) مشهود (٤) الهمزة محذوفة
(٥) المشية (٦) الاية (٧) لمن ادر بهم (٨) بدوا (٩) لمداه
(١٠) البصيرة (١١) هكذا في الاصل ولعله فبشرف

لم يخل من الاخلاص في عمله بلا تكلف ولا تدبير لان الأخلاص فى الاعمال من معرفة المعروف في التوحيد ونور المعرفة في احوال القلب .

فاما ثمار نور المعرفة في القلب فهي الشوق الى المعروف والانابة الى المولى والمحبة له وثمار الشوق (٧٤ظ) انفتاح اللسان باشعار العاشقين في سواد الليل وبياض النهار . وثمار الانابة الاستغاثة (١) من الخطايا . وثمار المحبة انفتاح القلب بذكر المحبوب .

واعلم ان نور الشوق اعلا من نور الخوف ونور الخوف اعلا من نور الزهد ونور المحبة تقشعر منه الجلود وتطير الارواح شوقاً الى لقاء المحبوب. ولو بلغ نور الشوق قلوب المحبين لأضرّ بها لان نور (٢) الشوق هو نار ملتهب . ونور الخوف نار تأكل اللحوم والعظام كما تاكل النار الحطب . والزهد هو زينة الخوف والخوف زينة الزهد والزهد والخوف يتشعبان من الفكر وهما يتشعبان من شعب الشوق الى الله . ومنزلة المحبة في سائر المنازل والمقامات كمنزلة الجمعة في جلال الاشياء . وهذه انوار متفاضلة بعضها على بعض (٣) وهي منازل مكتوبة في قلوب المتقين .

ومنزلة الشوق منزلة عظيمة عند اهل العمل ، ومنزلة المحبة منزلة شريفة (٤) عند المريدين ومنزلة الخوف منزلة رفيعة عند الزاهدين واهل الولاية هم راغبون فى هذه المقامات واهل المعرفة مشرفون على هذه الاحوال مع العارف والعارف (٧٥ و) محجوب عن الاحوال بمعرفة المعروف .

فاول مقامات اهل المعرفة التحير مع (٥) الافتقار ثم السرور مع الاتصال ثم الفناء مع الانتباه ثم البقاء مع الانتظار ولا يبلغ المخلوق مافوق هذا . فالحكمة من هذه المقامات التي وصفنا في دلائل القدرة [هي] لان الله جل وعز جعل قلوب الانبياء والاولياء خزانة الحكمة والرسالة والنبوة . والكتب قد تنقطع والحكمة لاتنقطع لان الحكمة هي من طريق الهدي الى اسرار قلوب الانبياء والاولياء وتصيب الزاهدين من الحكمة ذم الدنيا ومدح الآخرة ، وتصيب المشتاقين من الحكمة حيرة القلب والحلول على الاضطرار ، وتصيب المحبين من

(١) الاستعاثه في الاصل (٢) في الحاشية
(٣) بعضها بعضاً وربما كانت يفاضل بعضها بعضاً (٤) شرىفه (٥) بين

الحكمة ذكر آلائه ونعمائه ونصيب العارفين من الحكمة الاشارة عن اسرار المعروف وكل ذلك من مشيئة (1) ربهم وعطاياه لهم كما قال الله عز وجل « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابداً ولكن الله يزكي من يشاء » واعمال بني آدم موقوفة بين العدل والفضل الى ان يحكم الله عز وجل بفضله او بعدله .

والمعرفة واليقين والهدى من مراد المعروف الى قلوب المؤمنين. فالواجب (٧٥ظ) على جميع المؤمنين النظر من العطاء الى الله عز وجل والتوكل على الله دون أعمالهم لان اعمال بني آدم لا تخلو (2) من التقصير والسهو والغفلة وعطاء المعطي هو كامل ليس فيه نقصان . فمن نظر الى عمله من اهل التوحيد لم يجد راحة القلب لحجابه بنظره الى عمله عن حقيقة الصواب ولو نظروا في حقيقة الامر لاحاطوا بالمنّة علماً في الهداية والرسالة والمعرفة والكتاب . والنظر في المبدأ من طريق العبودية . والنظر في المنتهى من طريق التحير والاضطرار كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : « بئس (3) العبد عبد سها (4) ولها ونسي المبدأ والمنتهى (5) » فالارواح ناظرة الى المولى في المبدأ والقلوب ناظرة في المنتهى الى رحمة المولى وعفوه والخلق جميعاً فيما بين ذلك مع سعادتهم وشقاوتهم وسعادة الاولياء من نظر المعروف في المبدأ وشقاوة الاعداء من حكم مراد المبدأ . وكل صنف من اصناف الخلق جار على ما هو (6) فيه وكلهم مقيدون بقضاء المولى والاولياء والاعداء جميعاً اسراء (7) المشيئة (8) كما قال الله عز وجل « فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » فَشَرْحُ قلوب الاولياء (٧٦ و) من الله رحمة وفضل وضيق قلوب الاعداء من الله حكم وعدل لان الله عالم بحركة الاولياء والاعداء لان حركة الاولياء موافقة (9) سابق علم العلام وحركة الاعداء موافقة سابق حكم الجبار وهو علام الغيوب والغيب كله شاهد في علمه لا يغرب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ولا

(1) مشته (2) تخلو
(3) بيس (4) منها (5) صحيح الترمذي قيامة : ١٧ (6) هي
(7) اسرا (8) المشية (9) موافق (غير منقوطة)

أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين . الا ترى قول الله تبارك وتعالى للملائكة : « اني اعلم ما لا تعلمون » ، خلق آدم بقدرته (1) فجعل مسكنه الجنة وجعل عيشه فيها على حالين حال اشارة وحال غفلة واخرج الخلق من ظهره فجعلهم على سيرته في حالته ، والاولياء مقتفون اثره في احوال انتباههم والاعداء مقتفون اثره في حال شهوتهم والمولى علام باحوال الانتباه والغفلة وعالم بمكان نشوء الاولياء (2) ومكان نشوء الاعداء كما قال الله عز وجل « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا » وانما يجب التسليم في هذا الامر لله عز وجل وترك المراد [و] قبول ما جرى من ذلك [على] (3) ألسنة الحكماء لمعرفتهم بمنادي المعروف في الاول والآخر . والله تبارك (٧٦ظ) وتعالى هو عالم باحوال الخلق في المبدأ والمنتهى ، الا ترى قصة ابليس خلقه الله عز وجل من النار ثم جعل رزقه من العبادة [الجهل] (4) وخلق آدم من التراب ورزقه المعرفة فجعل ثمرة رزق ابليس الكبر وثمرة رزق آدم الفقر والفاقة الى ربه . كما حكى الله عز وجل عن ابليس حين قال « انا خير منه » وحكى عن آدم حين قال « ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وكل من قال انا فهو محجوب من المعرفة وكل من قال لربه : انت بالفقر اليه كان قلبه مفتتحاً بالمعرفة الا ترى قول الملائكة « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » فقال الله تعالى « اني اعلم ما لا تعلمون » فقهرهم الله في سجدة آدم بامر الرحمن وانما حملهم الله على ذلك لقولهم نحن ونظرهم الى انفسهم واعمالهم .

فأهل السماء والارض من المؤمنين بالله [انما] انتباه قلوبهم من الله عز وجل ، وأهل السماء والأرض من الملائكة والانس والجن كلهم مستغرقون في بر معروفه (5) وليس لأحد أن يقول (6) : أنا ، الا الله عز وجل لسبق الكرم والاحسان من الله عز وجل الى الخلق . ولا يخلو (7) جميع خلقه من التقصير في اعمالهم (٧٧و) وأحوالهم .

وأصل الدين على ثلاثة (8) أوجه أولها : الورع عن المحارم ظاهراً وباطناً وثانياً :

(1) بقدرهه (2) الاولياه (3) في الحاشية
(4) كلمة ساقطة فلعلها ما اثبتناه (5) معروفهم
(6) ان يقول كررت (7) يخلوا (8) ثلثه (غير منقوطة)

الاستقامة على الاعمال في الأمر [1] والفرائض . وثالثها : قبول حدود الاسلام : ـ والورع من محارم الله اجتناب ما نهى الله عنه في السرّ والعلانية والاقبال على الطاعة سرّاً وعلانية ومعرفة المنّة في عصمته عز وجل اياه من محارمه وشكر التوفيق على الطاعة في السرّ والعلانيــة .

وأصل الارادة على ثلاثة [2] اوجه : اولها : حفظ الاطلاع على قلبه . وثانيها : حفظ الانتباه [3] من قلبه . وثالثها : حفظ المناجاة بقلبه . والمريدون هم منتبهون لاطلاع المولى على قلوبهم واطلاعه على اقوالهم وافعالهم واطلاعه على اسماعهم فهم على حيرة من أقوالهم وأفعـالهم وضمائرهم ، مثلهم كمثل الغريق في البحر قد عجز عن كل حيـلة لايفتح عينه وفمه خشية الهلاك لغلبة الماء [4] على جميع أعضائه وجوارحه .

فالمريدون في مقام الولاية مستحيون لاطلاع المولى ومتحيرون [5] في أشراف المولى ، ناكسون رؤوسهم في تقصيرهم بجنب هيبته [6] .

وأصول المعرفة على ثلاثة [7] أوجه، أولها : معرفة الفردانية (٧٧ظ) وثانيها : معرفة الأبدية وثالثها : معرفة الأزلية ، فالعارف في الأزل [8] مقطوع بقلبه من كل شيء في جنب معرفة الفردانية وفي الثاني هو مقطوع بالفؤاد من ارادة العطاء في جنب معرفة الأبدية ، وفي الثالث هو موصول بروحه بمعرفة الأزلية .

وقطع القلب على ثلاثة [9] أوجه . أولها : أن يـكون بريّ القلب من طمع الغلول فى الخلوة . قلت : اذا عرف نفسه بعيوبها اشـتغل بالأسف عليها واشتغل بشكر معرفتها ثم باستخراجها على سبيل الشكر لله بنعمة [10] المعرفة بعيوب نفسه. ثم يأسف على ان لا يستقيم شكر معرفتها ويشتغل بشكر معرفتها فيخرج [...] [11] الشكر على عيوبها . فان لم يقدر أن يخرج من عيوبها فلا يعجز عن معرفة عيوبها متأسفاً .. وبالله التوفيق والعون (٧٨و) .

(١) في (٢) ثلثه (غير منقطة) (٣) الانتبا (غير منقطة)
(٤) الما (٥) ويهجرون وفي الحاشية بنفس خط الناسخ كتب ومتحيرون
(٦) هبته (٧) انظر ٢ ، ٩ (٨) الأول (٩) ثلثه (غير منقطة)
(١٠) بنعمته (١١) كلمة لا تقرأ وتظهر كأنها « بعتابه » ولعلها بغاية

٥ — كتاب الحقائق :

قال أبو سعيد رحمه الله :

الحمد لله حمد منقلب بقلبه في رياض منتـه ومتنزه بروحـه تحت أشجار كرمه ومتنعم بنفسه بين ثمار نعمه ، فأولياؤه اسراء نعمه واصفياؤه رهائن كرمه واحباؤه عند مِنّتِه عبيد نعم لايعتقون ورهائن كرم لا يفكون واسراء نعم لايطلقون ، فبنِعَمه عبده العابدون وبكرمه أحبه المحبون وبمنته [1] عرفه العارفون والصلاة [2] على النبي محمد وآله الطيبين واصحابه المنتخبين ، وسلم تسلماً .

أما بعـد : فاني قد جمعت في كتابي هذا مسائل من طريق الحكمة على بيـان الشريعة بلسان اهل المعرفــة على الايجاز والاختصار دون الاطالة والاكثار وافتتحت ذلك بباب العقل .

ما ذاتية العقل ؟ قال : نور في القلب يهدي النفس الى اصول العمل : يعني من عمل لله على نور معرفة الله من غير التفات الى غير الله فهو عاقل .

ما ذاتية الإيمان ؟ [قال] : عيان مافي الغيب من ثواب الجنان وعذاب النيران : يعني من اشرف بنور حقـائق الايمان على مافي الغيب من نور الجنان والنيران (٧٨ ظ) واطمأن عليه بالجنان فهو مؤمن .

قال : ماذاتية المعرفة ؟ قال : انكار كل من ليس له حول ولا قوة ولا قدر : يعني من عرف الله جل جلاله بكمال القدرة اسقط عنه الالتفات الى من ليس له قدره فهو عارف .

قال : ما ذاتية العلم ؟ قال : الخشية ممن يعلم خائنة الأعين : يعني من خشي العلام في كل موضع ومقام خشية تعجزه عن الذنوب والآثام فهو عالم .

قال : ماذاتية الحكمة ؛ قال : اصابة القول وأحكام الخدمة . يعني : من أصاب الصواب من الكلام واحكم الطاعات للعلام مع حسن القيام فهو الحكيم .

(١) في الأصل : وثمانية والتصحيح من الحاشية (٢) والصلوه

قال : ماذاتية الفطنـة ؟ قال : نور يبصر انوار الاتصال والمنـّة . يعني : من رأى انوار منن المولى جل وعلا بنور الفطنة الذي قسم له يوم القيامة فهو الفطن[1] .

ماذاتية اليقين ؟ قال : الاطمئنان[2] بالحق المبين مع الاستقامة على الدين . يعني : من سكن قلبه الى جمال ربوبية الرب جل وعلا وقام بالصـــبر على بساط[3] عبوديته بالنفس والقلب فهو الموقن .

قال : ماذاتية التوفيق؟ قال : رفق الرفيق ؛ الملك الشفيق(٧٩ و) للعبد بهداية الطريق. يعني من هداه الرحمن الى طريق الطاعة والاحسان بالافضال والامتنان فهو الموفق .

ماذاتية العصمة ؟ قال : الاحتجاز بالله من المعصية . يعني : من حجزه الملك الجواد من مسالك الظلم والفساد والجور على العباد فهو معصوم .

قال : ماذاتيـة[4] الخوف ؟ قال : الامن ممن هو بـدا على شرف الخوف . يعني : من خاف فهو لايخاف خوفاً يهيج منه الندم والاعتراف[5] فهو خائف .

قال : ماذاتية الرجاء[6]؟ قال: اليأس ممن وسمه المولى بميسم الفناء[7] يعني : من يرجو[8] المولى رجاء يشغله عن الاشتغال بأبناء الدنيا فهو راج .

قال : ماذاتية صدق الرغبة ؟ قال : القنوط[9] ممن له حرص ورغبة . يعني : من رغب فيما عند الله اغناه عمن سوى الله فهو الراغب حقاً .

قال : ماذاتية صدق الرهبة ؟ قال : الاشتغال عن كل من له خوف ورهبة . يعني: من رهب من لا يرهب من سواه رهبة تشغله بها عن التنعم بنعيم دنياه فهو راهب .

قال : ما ذاتية الصـدق ؟ قال : التزاق صدق اللسان بصدق الجنان يعني : من صدق باللسان مقروناً بصدق الجنان على(٧٩ ظ) نور المعرفة والايمان فهو الصادق .

قال : ما ذاتية الاخلاص ؟ قال : الاستقامة على الطاعة بلا رؤية الاخلاص . يعني : من

(١) في الاصل : الطن والتصحيح من الحاشية (٢) الاطمئنانية (٣) نشاط

(٤) ماذا (٥) الاعترا (٦) الرجا (٧) الغنا

(٨) يرحوا (٩) المبوط

استقام على بساط الطاعات من غير ان يرى النجاة [بالطاعات فهو مخلص .

ما ذاتية الصبر ؟] قال : من تجـرّع مرارة المحن بعد[1] رؤية الثواب والدرجات فهو الصابر ... بل من[2] تجرع مرارة صبر الصابر بعد[3] رؤية اطلاع الحق على بساط الحق فهو صبر الصابر .

قال : ما ذاتية الشكر ؛ قال : الافاقة عند النعم عن الشكر . يعني : من افاق عن شكر النعمة عند محض[4] النعمة حتى لايشتغل عن المنعم بالنعم فهو الشاكر .

قال : ماذاتية التعظيم ؟ قال : ان لاترى لغير العظيم . يعني : من عظم قرب العظيم جل جلاله منه وقدرته عليه تعظيماً يفنيه بالـكلية بين يديه فهو التعظيم[5] .

قال : ماذاتية المحبة ؟ قال : اخلاء القلب عن حلاوة المحبة الا من محبة المحبة . يعني : من فرّغ القلب عن محبة كل عاجز معيوب لوجدان حلاوة محبة المحبوب فهو المحب .

قال : ماذاتية الاشتياق ؟ قال : دوام الاحتراق مع السـباق . يعني : من اشتاق الى الملك الخـّلاق جل جلاله عن ولوع الاحتراق من خوف الفراق رجاء التلاق على بســاط السباق فهو (٨٠ و) المشتاق .

قال : ماذاتية الخشـية ؟ قال : اخماد الشـهوة وقلة الخيانة في الخـلوة . يعني من أمات الشهوة وترك المعصية في الخلوة فهو من أهل الخشية .

قال : ماذاتية الانتباه ؟ قال : [...][6] الابتداء منه فانتبه على مخاطرة الانتهاء يعني[7] [من] هاج بانتباه الابتداء منه الشوق والحياء وانتباه الانتهاء الحزن والبكاء فهو المنتبه .

ماذاتية التوبة ؟ قال : التوبة من التوبة مع رؤية الحوبة . يعني : من تاب عن الحوبة مع رؤية التقصير في التوبة حتى يحجزه عن الوقوع في الحوبة فهو التائب .

قال : ماذاتية الاستعداد ؟ قال : دوام الاجتهاد على طريق الخير والرشاد . يعني : من أخذ مسالك الطاعات والخيرات ودام على تصفية الطاعات من الآفات فهو المستعد .

(١) نعم (٢) مستدركة في الحاشية (٣) نعم (٤) سحص

(٥) المعظم (٦) عن نن يبدو ان الناسخ اسقط بضع كلمات هنا (٧) حتى

قال : ماذاتية الامانة ؟ قال : صـدق الصيانة وترك الخيـانة . يعني : من صان نفسه بحفظ أمانات رب العالمين واداء أمانات المخلوقين مع ترك الخيانات مع ابناء الدنيا والدين فهو أمين .

قال : ماذاتية التقوى ؟ قال : الحذر بالقلب عن التدبير بالهوى وبالنفس عن مواضع الذنوب والخطا . يعني : من اتقى بالقلب عن متابعة الهوى (٨٠ ظ) واتقى النفس عن الوقوع في أودية المعاصي والخطأ فهو المتقى .

قال : ماذاتية الحيا ! قال : ان يعلم العبد بان الله يرى . يعني : من علم بان المولى يرى علماً يشغله [١] عن الاشتغال بشيء سواه فهو المستحي .

قال : ماذاتية التواضع ؟ قال : الاذكار حيث ماكان للرحمن بلا تصنّع . يعني : من تواضع للرحمن في كل وقت وأوان وألان [٢] كنفه في ذاته لأهل الايمان من غير أن يضر بالدين والايمان فهو المتواضع .

قال : ما ذاتية النصيحة ؟ قال : موافقة أهل السنة والشريعة ومخالفة اهل البـــدع والفضيحة . يعني : من وافق أهل الاسلام والدين فيأمور الدنيا والدين وخالف المبتدعين في ذات رب العالمين فهو ناصح أمين .

قال : ماذاتية الخشوع ؟ قال : قيام القلب بين يدي الحق بهمٍّ مجموع . يعني : من جمع الهمة عن كل شغل ومحبة وارادة [٣] تحت جلال القـــدرة حتى لايشتغل بطلب التنعم بالنعمة ولا الهرب عما يورد عليه من المحبة فهو خاشع .

قال : ماذاتية الزهادة ؟ قال : ترك التكلف مع صحة النية والارادة . يعني : من زهد فيما ليس له من نعم الدنيا ولم يجد حلاوة مارزق منها بطلب (٨١ و) نعيم العقبى مع اسقاط التكلف فيما [٤] حصل منها فهو الزاهد .

قال : ما ذاتية قصر الأمل ؟ قال : ترك العلل مع دوام انتظار بغتة الأجل . يعني : من قصر أمله حسن عمله وترك علله وانتظر في كل نَفَسٍ أجله فقد قصر أمله .

---

(١) اسعله (٢) ولان (٣) في الأصل « واوار ما » (٤) فما

قال : ما ذاتية القناعة ؟ قال : افراغ القلب عن شغل كل حاجة . يعني : من أخلى قلبه عن الاشتغال بغير الله عز وجل وقنع باختيار الله له عمن سوى الله فهو القانع بالله تعالى .

قال : ما ذاتية التوكل ؟ قال : إركان القلب على [١] الوكيل مع دوام الصياح والعويل يعني : من اتخذ الجليل جل جلاله لنفسه وكيلاً ورضيه لقلبه في الظن دليلاً وأخـذ من القليل قليلاً فهو المتوكل على الله تعالى .

قال : ماذاتية الرضاء ؟ قال : رضاء القلب تحت احكام السماء عند ما يرد عليه من القضاء يعني : من انقاد بالقلب تحت حكم المولى بالنفس على بساط العهد عنـد النعم والبلوى فهو راض عن المولى .

قال : ما ذاتية الوفاء بالعهود ؟ قال : بذل المجهود مع تصحيح الضمائر [٢] والعقود . يعنى : من أدّى من الخدمة والطاعة جهده وصفت فيها نيته وارادته فهو في تعاهده على (٨١ ظ) مقدار جهده فهو الوفاء بالعهود .

قال : ماذاتية البكاء ؟ قال ؟ سيلان الحسرات على خد الخجل والحياء . يعني : من حل عقال دموع الحسرات على اعين الفكرات حتى اهمع منها قطرات حرقات [من] الندامة فهو الباكي .

قال : ما ذاتية سعة الصدر ؟ قال : إن يكون عند المحن والنعم كالجج [٣] البحور . يعني : من وسع الخلق لجفاء جميع الخلق من غير مداهنة ولا ملق ولا جزع ولا قلق فهو واسع الصدر .

قال : ما ذاتية الفراسة ؟ قال : إن يرى العبد حركات الضمائر بعين المراقبة والحراسة يعني : من راقب حركات الاسرار بعين صفوة الافكار ليرى فيها حركات لغات [٤] الاغترار فيحرقها بنيران التوبيخ والانـذار ثم ينظر بنور الجبار جل جلاله ضمائر اهل الاغترار فيحكم [٥] عليها بما وقع له من الاسرار فهو المتفرس الذي قال [فيه] النبي ﷺ « اتقوا فراسة المؤمن .. »

قال : ما ذاتية حسن الخلق ؟ قال : قبول ما يرد عليه من غيب المشيئة [٦] من جفـاء

---

(١) عل . (٢) الضماير (٣) كاحح
(٤) لعاب (٥) فيحكم (٦) المشية

الخلق وقضاء الحق بلا جزع ولا ضجر ولا قلق . يعني : من أصب نفســه [لسهام (١) ما ينزل عليه من قضاء (٢) ربه عند (٣) صحبة نفسه] (٤) وابناء جنسه بلا شكاية نفسه الى ابناء جنسه فهو حسن الخلق .

قال : ما ذاتية العدل ؟ قال (٨٢و): ترك الانتصاف لاهل الجهل و بذل الفضل لاهل الفضل . يعني : من بذل الفضل لاهل الفضل وترك الانتصاف من اهل الجهل بلا استحقار اهل الجهل ولا الميل الى اهل الفضل فهو من اهل العدل .

قال : ما ذاتية الرحمة ؟ قال : الرحمة على النفس بمنعها عن المعصية وتحصينها في حصون الطاعة فانها اولى بالرحمة فمن لا يرحم نفسه لا يرحم غيره . يعني : من رحم ... (٥) [من] غير ان يقع في اودية المعصية عند هيجان الشهوة وغليان المشيئة (٦) طاوعته (٧) النفس (٨) وصار من اهل الرحمة .

قال : ما ذاتية الارادة ؟ قال : اخماد نيران ما عليه الخُلق والعادة . يعني : من امات بنيران صدق الارادة غليان نيران شهوات العادة حتى طار منه الكسل والبلادة (٩) لتنشط النفس في العبادة فهو من اهل الارادة والا فما هى الا الغرور وطرادة (١٠) .

قال : ما ذاتية الصلابة ؟ قال : الكلام بالحق للحق بلا عجز ولا مهابة . يعني : من تكلم بالحق للحق في مواضع الحق من غير مهابة من لائمة الخلق او النفس ، او الى الخلق فهو من اهل الصلابة بالحق .

قال ما ذاتية الاجتهاد ؟ قال : دوام الانقياد للمراد مع راحة القلب والفؤاد عن (٨٢ظ) ألم معاشرة اهل الفساد. يعني : من اطاع الملك الجواد بالخضوع والانقياد بلا كسل النفس ولا شغل الفؤاد طاهراً عن عمران خواطر الافات والفساد فهو من اهل الاجتهاد .

قال ما ذاتية الاستقامة ؟ قال : إن تعمل لله جل وعلا كأنك في عرصات القيامة .

(١) مطموسة جزئياً (٢) قضا (٣) عبد (٤) في الحاشية
(٥) في الاصل : . من رحم والهمة غير . . ولعل الجملة كانت: « من رحم نفسه من غير » .
(٦) المسته (٧) طار عنه (٨) القسوة (٩) البلاء
(١٠) هكذا في الاصل . ولعلها كانت « وزيادة » .

يعني : من وهم نفسه عند الطاعة على بساط الاستقامة كأنه بين يدي الحق في القيامة فهو من اهل الاستقامة .

قال ما ذاتية الانابة ؟ قال : اخراج القلب من ظلمات السحابة . يعني : من اخرج قلبه عن ظلمات رين الاثام والعصيان ليبدو له شعاع شمس رؤية الافضال والامتنان فيرجع بنور رؤية الامتنان إلى بساط الخدمة والاحسان فهو من اهل الانابة .

قال : ما ذاتية الرعاية ؟ قال : حسن العناية مع انتظار التوفيق والهداية . يعني : من احسن عنايته بنفسه لنفسه واحتمل الاذى من ابناء جنسه لربه فهو من اهل الرعاية .

قال : ما ذاتية التوفيق ؟ قال : إن لا يكلف النفس ما لا تحتمل ولا تطيق فيقطع عليها الطريق . يعني : من حمل نفسه الطاعة وادخلها بسـاط الرياضة مقدار ما لا ينقص عليها الطاعة فهو من اهل الرفق والتوفيق (١) .

قال : ما ذاتية السكينة ؟(٨٣و)قال: نور يقذف في القلب فيطير عنه الحَسَدُ والضغينة وتسكن فيه الشفقة والنصيحة . يعني : من وجد في قلبه الشفقة والنصيحة ، فارغاً من الكذب والحسد والضغينة فليعلم ان قلبه قد نزلت فيه السكينة .

قال : ما ذاتية السكوت ؟ قال : الكلام على قدر القوت . يعني : من سكت عن الكلام الفضول واقتصر على ما اباح الله والرسول فهو من اهل السكوت .

قال ما ذاتية الفكرة ؟ قال : نظر القلب بعين العبرة الى جلال القدرة وجمال المنة . يعنى : من رزق الفكرة بنور المعرفة في عجائب القدرة تهيج من قلبه انوار الفوائد والعبرة وتخمد فيها نيران الشهوة فهو من أهل الفكرة .

قال : ما ذاتيـة الوجل ؟ قال : تقلقل القلب من خوف بغتة الاجل . يعني : من ذكر ما في الاجل من الهموم (٣) والحياء والخجل حتى يهيـج في قلبه (٤) الخوف والوجل ـ اي قرب الاجل ـ فيحسن له العمل صار (٥) من اهل الوجل .

(١) والبر فيق (٢) نزل (٣) الغموم (٤) لبه (٥) فصار

قال : ما ذاتية الخلوة ؟ قال : خلوة القلب في بيت الحسرة مع اجتماع الهمة . يعني : من جمع (1) الهمة واخلى القلب من آفات الشهوة واجال الفكرة في مَدى (2) العظمة فهو من اهل الخلوة .

قال : ما ذاتية (٨٣ظ) الاهتمام ؟ قال : دوام الاهتمام لقلة الحزن والاهتمام . يعنى : من اهتم بسروره في موضع همومه وفرحه في دار غمومه بدار غمومه فهو مهتم .

قال : ما ذاتية الاحتمال ؟ قال : حمل الاذى من الجهال مع ترك الاستجهال (3) . يعني : من احتمل الاذى من جميع الورى وصبر على البلوى بلا جزع ولا شكوى فهو حليم .

قال : ما ذاتية الطاعة ؟ قال : الانقياد تحت حكم المطاع بلا فترة . يعني : من خضع للمطاع عند الخدمة والطاعة بلا كسل ولا ملامة فهو المطيع .

قال ما ذاتية الافتقار ؟ قال : القيام بالدوام على باب السلام بين الافتخار والافتقار . يعني : من قام بالدوام على باب الحق برجل الافتخار والافتقار مع حسن الانتظار على رؤية الاضطرار بلا تدبير ولا تقدير ولا احتيار فهو من اهل الافتقار .

قال : ما ذاتية المحاسبة ؟ قال : دوام المراقبة مع حسن السياسة . يعنى : من راقب بنور لُبِّه حركات آفات شره فميَّز بين خواطرخيره وشره [فهو من] (4) أهل المحاسبة .

قال : ما ذاتية الرياضة ؟ قال : تعذيب النفس في ميدان الرعاية . يعني : من راض النفس عند كل (٨٤و) حركة ونفس بقلة الطعام (5) وادمان الخَرَس فهو من اهل الرياضة .

قال : ما ذاتية الاستعاذة ؟ قال صياح الهمة بلسان الاستعاذة عند هيجان الهاجسة (6) . يعني : من صرخ بالهمة على غاية الاستعاذة بلسان الاستعاذة ليُحرقَ (7) بنور الاستعاذة ونار الاستغاثة ظلمات الوسوسة والهاجسة فهو من اهل الاستعاذة .

قال : ما ذاتية السخاء ؟ قال : بذل الروح والمال للحق (8) على غاية الحياء . يعني :

(١) روح (٢) في الاصل هوي محركة ، لعل الصواب ما اثبتناه (٣) الاستحلال
(٤) مطموسة في الاصل (٥) الطعم (٦) الهاجة
(٧) ليحترق (٨) للخلق

من بذل المال والروح للمولى جل وعلا بقتل الشهوة والهوى وآثر مراد الحق على مراده بالشكر والرضا فهو من اهل السخاء .

قال : ما ذاتية الذكر ؟ قال : تغريق الذكر في أبحر [ذكر] (1) الذكر . يعني : من أغرق ذكره لله تعالى بالتكلف والكسل في ذكر الله له بالافضال في الازل فهو ذاكر .

قال : ما ذاتية التسليم ؟ قال : الاستسلام لحكم الحكيم . يعني : من سلم الى المعبود افعال العبودية واناخ تحت احكام جلال الربوبية عند السراء والضراء فهو من اهل التسليم

قال : ما ذاتية الهداية ؟ قال : خِلَعٌ من خلع انوار البداية التي ليس لعظيم قدرها (٨٤ظ) نهاية . يعني : من عرف مِنَنَ الله عليه بالهداية ورأى حسن اعماله وطاعته من نور قسم الدراية فهو من اهل الهداية .

قال : ما ذاتية الاستغاثة ؟ قال : الصراخ مع دوام [الاستقامة] (2) . يعني : من استقام بالدوام مع حسن القيام على بساط الاستكانة والاهتمام فهو من اهل الاستغاثة .

قال : ما ذاتية حسن الظن ؟ قال : كثرة الاعمال ودوام الابتهال مع حسن الآمال . يعني : من احسن الاعمال واكثر التضرع (3) والابتهال مع حسن الرجاء وصدق الآمال في رحمة ذي الجلال فهو حسن الظن بالجبار جل جلاله .

قال : ما ذاتية الدعاء ؟ قال : غدوٌ (4) القلب والنفس في طريق حفظ الوفاء . يعني : من حفظ العهد والوفاء على بساط الصدق والصفاء من الخوف والرجاء فتح له ابواب اجابة الدعاء في احدى ثلاث (5) : اما ان يُستجاب له ما اراد في وقته ، واما ان يكفر بذلك عن معصيته ، واما ان يرفع له به في درجاته ولم يخسر على الله احد في خدمته ، انه ملك كريم .

قال : ما ذاتية الفريضة ؟ ظال : اداء ما ضمن العبد للمعبود يوم الميثاق بدلائل (6) السنن والشريعة . يعني : من ادى ماافترض الله (٨٥و) عليه بالكتاب والسنة على ما تدل عليه الشريعة وهي مكنونة في قول : « لا اله الا الله » والجميع كانت مخزونة في قول العبد « بلى شهدنا »

(١) في الحاشية (٢) مطموسة (٣) قال ما التبصيص
(٤) عدو (٥) ثلث (٦) بدلايل

ومنها اشارات لطيفة فيها ليس ذا موضع شرحها. فمن وفّى للحق بقوله « بلى» باللسان والجنان والاركان فقد ادى الفريضة جهده إنْ علم معاني حرف « بلى » . قال : وحروفها ثلاثة : باء ولام وياء ؛ اشتقاق ياء . يعني : انا بريء من الكفر والطغيان وبارز بالسر والاعلان وباعد القلب واللسان من كل مُباهٍ (١) وعَصيان ، لام يعني : لام الخدمة والطاعة والسنة والاحسان لان كَنَفَهُ عند العبودية والاستقامة للرحمن . ولام نفسه وعمله وحركاته كلها في [كل] وقت واوان . ياء : يعني : يرى بنور الجنان ما مَنّ عليه الرحمن من الافضال والامتنان ويميل بالكل لكل الكل في كل الاحوال الى رضى (٢) الكل بالقلب واللسان ويأوى في جميع الاوقات والحركات الى باب المستعان بالاستغاثة وطلب الامان . فهذه اشارة في بيان معنى حروف بلى . وفيها من الحكم ما لا يعلمه احد الا الله عز وجل ، فمن قام بوفاء ما قد ذكرنا فقد ادى (٨٥ ظ) فريضة ما قد امر به المولى والا فعليه بالاقرار ودوام الاعتذار والاستغفار فان المقرّ بالتقصير ابداً محمود . والاقرار بالتقصير علامة القبول والمدل برؤية التوفيق (٣) علامة الرد والتقصير .

هاه يا اخي ! ومتى يقدر العبد الضعيف ان يقوم بوفاء ما افترض الله عليه الا بعصمته وتوفيقه وصدق الاقرار له بالعجز والضعف والافتقار الى تأييده وتسديده فسبحان من أمر عباده الضعفاء من حيث هو بجلال قدرته وجبروته وقبل من عباده الاسراء عبادتهم من حيث هم على مقدار ضعفهم وجهلهم . فقال جل جلاله « اتقوا الله ما استطعتم » وقال : « اتقوا الله جهدكم » .

[قال] (٤) ما ذاتية السنة ؟ قال : برودة الدنيا وحب الصحابة . يعني : من برد الدنيا على نفسه واخذ منها بُلغة نفسه لربه واحب الصحابة بطيبة نفسه وقلبه وتخلق باخلاقهم وافعالهم لغده فهو سني .

قال ما ذاتية حفظ الحرمة ؟ قال : افناء اوصاف البشرية بنور نار جلال الربوبية على بساط حسن القيام باداء العبودية فهو من الذين حفظوا لله الحرمة .

(١) مباهي (٢) رضا (٣) التوفير (٤) في الحاشية

قال : ما ذاتية وجدان حلاوة (٨٦ و) المنة؟ قال: وجدان مرارة كل شهوة ومعصية . يعني : من وجد مرارة حلاوة الشهوة وسقط عنه رؤية الحول والقوة وطهر من أدناس آفات المعصية فقد وجد حلاوة المنة .

قال : ما ذاتية وجدان حلاوة حب الصحابة ؟ قال : نقض كلام صاحب البدعة . يعني : من احب من يحب الله ورسوله وهجر من بريء الله منه (١) ورسوله فهو ممن وجد حلاوة حب الصحابة .

قال : ما ذاتية وجدان حلاوة المحبة ؟ قال : وجدان مرارة محبة كل محبة غير محبة المحبوب ، الطاهر من كل عيوب ، القادر على ما اراد ويريد وهو في حجب الغيوب . يعني : من وجد مرارة محبة المخلوقين ومحا عن سره محبة المعيوبين وذاق من لذيذ حلاوة محبة رب العالمين فهو من المحبين ، وعلامة ذلك ان يطيع امره ويجتنب نهيه ويخاف عذابه (٢) ويرجو عفوه ولا يوافق عدوه ويتبع رسوله ولا تسكن روعته ولا تنقطع رغبته ولا تسقط عنه رهبته ولا ييأس (٣) من رحمته ولا يظهر محبته ولا ترقأ دمعته ولا يأمن مكره وسطوته ولا ينسى مننه ولا يترك حمده وذكره ولا يمل خدمته وقربه ولا يؤثر عليه غيره ولا يذكر نفسه وخيره . فهذا ادنى ما ذكرنا (٨٦ ظ) من صفات محبته . فمن وجد في نفسه شيئاً منها فليسترها وليشكره عليها ، وان لم يجد فليلبس ثوب الحسرة والندامة وليقم ببابه على دوام الخدمة والاستغاثة بتضرع وانين وتملق وحنين ، وسل تعطه واستغث تغث فانه غياث المستغيثين وغفار المذنبين ورحيم الملهوفين سبحانه لا إله الا هو .

فهذا بيان خصال اصول البر وهو اثنتان وسبعون خصلة فمن قدر ان يحفظ ما في هذا الكتاب فبخ بخ وإلّا ففي هذه المسائل كفاية لمن فهمها وما التوفيق الا بالله وصلى الله على محمد اكرم مولود وافضل مفقود .

العقل ، الايمان ، المعرفة ، العلم ، الحكمة ، الفطنة ، اليقين ، التوفيق ، العصمة ، الخوف ،

(١) عنه (٢) قربه (٣) يايس

الرجاء ، صدق الرغبــة ، صدق الرهبة ، الصدق ، الاخلاص ، الصــبر ، الشكر ، التعظيم ، المحبة ، الاشتياق ، الخشية ، الانتباه ، التوبة ، الاستعداد ، الامانة ، التقوى ، الحياء ، التواضع ، النصيحة ، الخشوع ، الزهادة ، قصر الأمل ، القناعة ، التوكل، الرضا ، الوفاء ، البكاء،سعة الصدر، الفراسة،حسن الخلق(٨٧ظ) العدل،الرحمة، الارادة ،الصلابة ،الاجتهاد ، الاستقامة ، الانابة ، الرعاية ، التوفيق ، السكينة ، السكوت ، الفـكرة ، الوجل ، الخلوة ، الاهتمام ، الاحتمال ، الطاعة ، الافتقار ، المحاسبة ، الرياضة ، الاستعاذة ، السخاء ، الذكر ، التسليم ، الهداية ، الاستغاثة . حسن الظن ، الدعاء ، الفريضة ، الســـنة ، حفظ الحرمة ، وجدان حلاوة محبة الصحابة ، وجدان حلاوة المنة ، وجدان حلاوة المحبة .

فذلك اثنتــان وسبعون خصلة مع زيادة وجدان حلاوة حب الصحابة ووجدان حب المحبة .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد .

تم بمنّ الله وفضله .

(٨٧ ظ)

مصادر البحث

الذهبي العبر في خبر من غبر ، الكويت ١٩٦١ ص ٧٧

تذكرة الحفاظ ، حيدر آباد ١٣٢٥ هـ

الاصبهاني ابو نعيم حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، القاهرة ١٣٥١ — ١٣٥٧ هـ

ابن الاثير اللباب في تهذيب الانساب ، القاهرة ١٣٥٧ هـ

الشعراني لواقح الانوار في طبقات الاخيار ، بولاق ١٢٨٦ هـ

ابن كثير البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٥١ هـ

السمعاني الانساب ، لايدن ١٩١٢

الخطيب البغدادي تاريخ بغداد، القاهرة ١٣٤٩ هـ

اليافعي مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، حيدر آباد ١٣٣٨ هـ

ابن الجوزي المنتظم في اخبار الملوك والامم ، حيدر آباد ١٣٥٧ هـ

تلبيس ابليس ، القاهرة ١٣٦٨ هـ

صفة الصفوة ، حيدر آباد ١٣٥٥ هـ

ابن عساكر تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران ، دمشق ١٣٣٠ — ١٣٥١ هـ

ابن الملقن طبقات الاولياء ، مخطوطة مكتبة الاوقاف ببغداد

الخراز كتاب الصدق ، نشر البرفسور آربري ، كلكتا ١٩٣٧

ماسنيون الموسوعة الاسلامية تحت مادة Karraz

وكذلك :

Essai Sur Les Origines du Lexique Technique de la Mystique Musulmane ,Paris , 1959 . p 270 .

وكذلك :

p

La passion d'al - Hallaj , p . 483 .

حول ما هية العقل والروح عند الخراز
وص ٥١٣ حول مفهوم الفناء والبقاء عند التستري والخراز
وص ٥٩٣ حول ماهيةالحروف عند الخراز
الهجويري كشف المحجوب الترجمة الانكليزية لنيكلسون ، لندن ١٩٥٩ .
الكلاباذي التعرف نشر آربري ، القاهرة ١٩٣٤
السراج اللمع فى التصوف نشر نيكلسون ، لايدن ١٩١٤
روزبهان بقلي شرح شطحيات نشر كوربن ، طهران ١٩٦٦
ابن حجر تبصير المنتبة بتحرير المشتبه ، القاهرة ١٩٦٤
السلمي طبقات الصوفية ، القاهرة ١٩٥٣
آداب الصحبة وحسن العشرة ، القدس ١٩٥٩
ابن العماد شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥٠ ه
القشيري الرسالة القشيرية ـ القاهرة ١٢٨٧ ه
ابن تغري بردي النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ١٣٤٨ ه
العروسي نتائج الافكار القدسية ، القاهرة ١٢٩٣ ه
الغزالي احياء علوم الدين ، القاهرة ١٣١٢ ه
ابن عربي الفتوحات المكية ، القاهرة ١٢٦٩ ه
العطار تذكرة الاولياء نشر نيكلسون، لايدن ١٩٠٥
الترجمة العربية مخطوطة في طهران اعارني صورتها الفوتوغرافية الدكتور احمد ناجي القيسي .
الجامي نفحات الانس نشر ليز .
الترجمة العربية مخطوطة في دار الكتب برقم ٩٧٩٥ ح اعارني صورتها الفوتوغرافية الدكتور احمد ناجي القيسي فله مني وافر الشكر .
ابن خميس مناقب الابرار نسخة جامعة توبنكن ، وانا الآن على وشك الانتهاء من تحقيقها وتقديمها للمطبعة .
وهناك مصادر اخرى تجدها في البحث .

جدول الخطأ والصواب

يرجى اجراء التصحيحات التالية :

ص	س	خطأ	صواب
٩ هامش	٤	فالترجمة	الترجمة
٢٣	١٢	يعدوهم	يعروهم
٢٤	١	المرين	المريدين
٣٤	١	نصول	أصول
٣٦	١٦	ابن	بين
٣٧	٥	مستمعة	مستمتعة

وهناك اغلاط مطبعية لا تخفى على القارىء الكريم